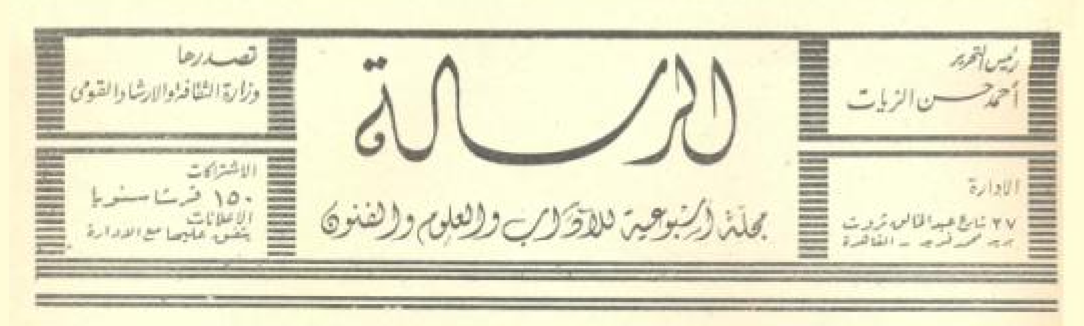


الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٣٦ – ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٨٣ هـ – ١٣ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

الانسان في شريعة محمد

على ذكر التفرقة العنصرية

بقلم : أحمد حسن الزيات

زعم الساسة في أوربا وأمريكا أنهم أعلنوا في ديسمبر من عام ١٩٤٩ حقوق الانسان في (هيئة الامم المتحدة) وبشروا الناس بالنعيم المقيم والخير العميم والسلام الدائم .

ومن قبلهم أعلن قواد الثورة الفرنسية هذه الحقوق في عام ١٧٨٩ وصاغوها في سبع عشرة مادة وجعلوها ديباجة لدستور ١٧٩١ والذين يسمعون اليوم أنين السود في أمريكا وافريقيا من سوء المعاملة واهدار الكرامة ، ويرون مسيرات الزنوج تزحف بهم من كل مكان الى (البيت الابيض) في هدوء ثائر وألم مكظوم ليحتجوا على التفرقة بينهم وبين البيض في الحقوق التي أعلنوها ودونوها ، يسألون ماذا يريد الاوربيون والامريكيون من لفظ (الانسان) الذي أعلنوا له هذه الحقوق وظاهروا عليه هذا العطف . أهو الانسان كما برأه الله من كل جنس وفي كل ارض وعلى كل لون ، أم هو الانسان الابيض المترف الذي تحدر من أصلاب اللاتين أو السكسون أو التوتون ؟

أغلب الظن انهم يريدون هذا . أما الاسود أو الاحمر في أمريكا فلا يزال في راى ابناء العم سام ضربا مهينا من الخلق عليه كل واجب ، وليس له اى حق ، ووجوده المهدوم في بلاد الديمقراطيين الاحرار لا يزال اغلظ كذبة في دستور الديمقراطية بواشنطون ، واكبر لعنة على تمثال الحرية بنيويورك !

وأما الأسمر والأسود في أفريقيا أو الأخضر والأصفر في آسيا ، فهو في نظر الاوربيين نوع من بهيمة الانعام · وجنس من المواد الخـام ، يولد ليسخر ، ويروض ليستثمر ، وينتج ليستهلك ، وهو موضوع الخصومة في السلم ، ومادة الغنيمة في الحرب · ومن هذا التفسير المزور لمعنى الانسان في القديم والحديث اضطرب الاساس وفسد القياس واختلف التقدير · فلكل جنس وزنه ، ولكل لون قيمته . ولكل دين حسابه · ومدار الوزن والتقويم والحساب على قدرة الانسان وعجزه ، لا على انسانيته وفضله · فالعلم والغنى والقوة سبيل السيادة ، والجهل والفقر والضعف سبيل العبودية · والسيادة حق ليس بازائه واجب · والعبودية واجب ليس بازائه حق ·

***

المسلمون وحدهم الذين يفهمون الانسان بمعناه الصحيح لأنهم أتباع محمد · ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الانسان بهذا المعنى لأنه رسول الله ، والله وحده هو الذى الهم رسوله هذه الحقوق لأنه ارسله رحمة للعالمين كافة ·

أرسله رحمة للذين استضعفوا في الارض لقـلة المـال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالى ، أو لضعف النصير كالارقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليـل بالعـدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، واعطى الحق للمرأة بالمساواة ·

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالة محمـد لم يكونوا من جنس معين ولا من وطن معين ، انما كانوا أمة من أشتات الخلق ، وأنحاء الارض اجتمع فيهـا العربي والفارسي والرومي والتركي والهندى والصيني والبربري والحبشي على شرع واحد هـو الاسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافة ·

والاسلام الذى يقـول شارعه العظيم : « ولقد كرمنا بنى آدم ·· » لم يخص بالتكريم لونا دون لون ، ولا طبقة دون طبقة · انما ربا ببنى آدم جميعا ان يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان ·

كان اليهود يزعمون انهم أبناء الله وأحباؤه وسائر النـاس سواء والعدم ، وكان الرومان يدعون أنهم حكام الارض ومن سواهم خدم · وكان العرب يقولون انهـم أهل البيان ومن عداهم عجم · وكان الهنود يعتقدون أن الله خلق البراهمة من فمه والرجبوت من عضده والمنبوذين من رجله ، ولا يستوى الامر بين رأس وكتف وقدم · وكان النظام الاجتماعي كله قائما على الامتياز بالجنس أو بالدين ، وعلى السيادة بالنسب أو بالمال ، حتى جـاء محمد اليتيم الفقير الامي بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فأعلن المساواة بقول الله عز اسمه : « انما المؤمنون اخوة » (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا · ان اكرمكم عند الله أتقاكم) · وأكدها بقـوله صلوات الله عليه : « الناس سواسية كأسنان المشـط » · « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » · « كلكم لآدم وآدم من تراب » ·

ثم كان الرقيق والمرأة شيئين من الاشياء لايملكان ولا يتصرفان · فضيق الاسلام حدود الرق ، وجعل كفارة الذنوب بالصدقة والعتق ، وسوى بين الرجال والنساء في الحق والواجب ·

ثم أعلن حرية العقيدة بقول الله تعالى : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى » · « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا · افانت تكره النـاس حتى يكونوا مؤمنين ؟» واحترم عقائد أهل الكتاب وضمن لهم حرية العبادة وأمان العيش وعدل القضاء · وأمر الولاة أن يرعوهم ويعطفوا عليهم · وأوصى المسلمين أن يبروهم ويقسطوا اليهم · ثم أعلن الاسلام حرية الفكر والرأى فلم يقبل ايمان المقلد ولا حكم المستبد · وأمر بالنظر في ملكوت السموات والارض · ووسع صدره لاهل السياسة حتى تعددت الاحزاب ، ولاهل الجدل حتى كثرت الفرق ، ولرجال الفقه حتى تنوعت المذاهب · وسمح لاهل الذمة وأصحاب النحل أن يدعوا الى أديانهم ويدفعوا عنها في المدارس والمجالس والبيع · ونهانا الا نجادلهم الا بالتى هى أحسن ·

ثم احترم الملكية وثبت لهـا الاصول ، ونظم المواريث ورتب عليهـا التعامل · وهذه هي جماع الحقوق الطبيعية التى كفلهـا الاسلام للانسان على اختلاف الوانه وأوطانه والسنته · أعلنها محمد بن عبد الله منذ قرابة أربعة عشر قرنا والأمر يومئذ للجهالة والرأى للضلالة ، والحكم للطغيان ، فانقذ بها الانسانية من اسار المادية والعصبية والأثرة ، ثم اكرمها ونعمها وهداها الطريق المستقيم الى نظام أكمل وعالم أفضل وحياة أسعد ·ولكن الانسانية وا أسفا اضلت هذه السبيل ! اضلها أولئك المنافقون الذين يعلنون لها اليوم هذه الحقوق ، وهم يسرون في أنفسهم تأكيد الامتيازات وتأبيد الفروق ·

أحمد حسن الزيات

مسألة

للدكتور محمد أحمد خلف الله

يقول بعض الناس فيها قولان ·

ويقول بعض آخر ـ أنا منهم ـ فيها نظر ·

والفرق بين أولئك وهؤلاء فرق منهجي ـ فرق في أسلوب التفكير ووسيلته · فالذين يؤمنون بالعقل ، ويؤمنون بقدرته على اكتشاف الحقيقة والكشف عن المجهول · والذين يؤمنون بالاسلوب العربي ويرون أن الضمير العلمي ضمير خلقي أولا وقبل كل شيء ، وأن مهمة العقل هي اكتشاف الحقيقة ومهمة الضمير هي اعلان هذه الحقيقة دون خوف أو وجل · هؤلاء يرون حين يلتبس عليهم الامر ، أو تشكل امام عقولهم المسالة أن القول الذي يجب أن يقال هو ـ فيها نظر · ولا يقولون أبدا فيها قولان · والسبب عندهم أن الحقيقة واحدة ، وأن لها وجها واحدا ، وأنها انما تستبين أو تلتبس · وأنها حين تستبين تعلن الى الناس ، وأنها حين تلتبس يطلب الى الناس الانتظار حتى يستطيع العقل الكشف عنها ، والوقوف عليها ·

أما الذين لا يرون في العقل أداة صالحة لمعرفة المجهول والكشف عن الحقيقة ، والذين يؤمنون بعجز العقل عن ادراك كنه الكثير من الامور · وأما الذين يرون أن الحقيقة حين تعرف لا يلزم أن تعلن ، وأن اعلان الحقيقة أو كتمان أمرها لا يرتبط بالضمير بقدر ارتباطه برضى الحاكم أو غضبه ، وبثورة الجماهير أو غبطها ، فهؤلاء يرون القول في هذه المواقف هو القول الذي يجنبهم السخط والثورة ويجلب عليهم الهدوء والطمأنينة وهو ـ فيها قولان ·

والمسالة التي أريدها اليوم مسالة قديمة ولكنها مرتبطة بالحديث بأقوى رباط · انها تتصل بالاطار الذي يتحرك من داخله واقعنا الاجتماعي · واقعنا القومي · انها العروبة ·

لقد دخل العرب مصر فاتحين ، وكان همهم الاول هو التبشير بدينهم الجديد ـ وهو الاسلام · ولقد نشر العرب فعلا دينهم هذا ـ وان يكن من الملاحظ أن هذا الدين لم ينتشر الانتشار الكافي من حيث أنه لم يعم السكان أجمعين · فلقد بقي منهم من يدين بدين سماوي غير الاسلام · بقي منهم اليهود والنصارى ·

ولقد نشر العرب الى جانب الاسلام شيئا آخر لم يقصدوا اليه قصدا ـ وهو اللغة العربية · لغة الفكر والفن · لغة الثقافة العربية · ومن الملاحظ هنا أن هذه اللغة قد انتشرت ـ باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، وباعتبارها وعاء ثقافيا ـ أكثر مما انتشر الاسلام نفسه · فلقد عمت السكان أجمعين · بحيث لم يبق منهم من لم يتكلم العربية ، ومن لم يتخذها وسيلة لاكتساب العلم والمعرفة · انها عندهم أجمعين لغة الحياة · الحياة بكل ما فيها من ظواهر اجتماعية ـ بدائية أو مدنية · بدوية أو حضارية ·

والظاهرة الواجبة التسجيل في هذا المقام هي أن الهدف الاصيل الذي قصد العرب الى تحقيقه قصدا لم يتحقق بكامله · وأن الهدف الذي لم يقصد احد الى تحقيقه ـ وانما ترك للعوامل الاجتماعية ـ قد تحقق بكامله ·

الى جانب هذه الظاهرة ظاهرة أخرى لا بد من تسجيلها في هذا المقام هي أن العرب حين حققوا انتشار اللغة ـ باعتبارها وعاء للفكر والفن ـ قد حققوا أصعب الامور · ذلك لان تغيير الدين أيسر بكثير من تغيير اللغة · فامم كثيرة قد غيرت دينها ، وغيرته أكثر من مرة · غيرته بفعل عوامل داخلية من تطور فكري وفلسفي ، أو بفعل عوامل خارجية بفرض الدين فرضا · ولكن أمما قليلة جدا هي التي غيرت لغتها · وكان هذا التغيير أبدا بفعل عوامل خارجية · حتى لنراهم يقولون بأن الامة التي تغير لغتها تفقد شخصيتها لانها تفقد ثقافتها ، وتخلق خلقا جديدا ، لانها تبدأ حياتها على أسس من القيم الثقافية الجديدة ·

لقد صنع العرب معجزة جديدة حين غيروا من لغات الامم التي فتحوها ، وأحلوا محلها لغتهم وثقافتهم العربية ·

والتاريخ المصري يمدنا بالشاهد والمثال ، فلقد وفدت المسيحية على مصر كما وفد الاسلام سواء بسواء · جاءت المسيحية من الخارج وجاء الاسلام من الخارج أيضا ـ ولكن المسيحية بدلت ديانة المصريين ولم تبدل ثقافتهم ولغتهم ، على الرغم من

انها قد انتشرت بين المصريين اكثر مما انتشر الاسلام ٠

وهنا لابد من وقفة نكشف فيها عما نراه الحقيقة فى هذه المسألة التى تفترق فيها المسيحية عن الاسلام ٠

لقد دخلت المسيحية مصر بفعل الحكام الرومان ، وكان لا بد لها من ان تشمل السكان جميعا لان الناس فى ذلك الوقت كانوا دائما على دين ملوكهم٠ فلقد كان الملوك يفرضون على الناس دينهم فرضا ـ وما كان لأحد من الناس ان يشذ عن هذه القاعدة والا أصابه الضر ، ووقع تحت طائلة الاضطهاد ٠ أما الاسلام فلم يفرض أبدا ، وخير الناس بين الجزية والاسلام ٠ واختار كل واحد من الناس ما رأى فيه المصلحة ـ وليس من وراء هذا الا القول بأن المسيحية قد فرضت ومن هنا عمت الناس أجمعين ، وان الاسلام لم يفرض ومن هنا بقى بين المصريين من يدين بأديان سماوية أخرى غير الاسلام ٠

لقد دخلت المسيحية مصر فرضا ، ودخلها الاسلام اختيارا ـ اختيارا لأقوى المصلحتين ٠

بقيت مسألة اللغة ٠ لماذا استطاع العرب أن يفرضوا لغتهم وثقافتهم على أمة تفوقهم فى كل ميدان حضارى ؟

لماذا أحدث العرب فى مصر هذا التغيير الجذرى وجعلوا المصريين يدركون الحياة على أسس من القيم الثقافية العربية ؟ ٠

لم يكن ذلك لأسباب دينية والا لحدث هذا الامر فى كل بلد دخله الاسلام ، أو فى كل بلد دخله دين جديد ٠

لقد عجزت المسيحية عن أن تغير من لغة المصريين وتفرض عليهم لغة المسيحية الاولى وهى العبرية أو لغتها الثانية وهى اللاتينية ٠

ولقد عجز الاسلام عن أن يفرض اللغة العربية فى بلدان كثيرة ٠ فلقد أسلم الناس فى كل من البلدان التى تعرف اليوم بتركيا ، وايران ، وأفغانستان ، وباكستان ، وتركستان ، والهند ، وأندونيسيا وما أشبه ولم تتعرب أي بلد من هذه البلدان ٠

ان الاسباب فيما أرى اجتماعية وترتكز على أساسين تقريبا ٠ أحدهما القرابة اللغوية ، والثانى المهاجرة والاستقرار ٠

وهجرة العرب الى البلدان المفتوحة لها المقام الاول فيما أرى ٠ وأخص مصر من بين هذه البلدان لهذه لظواهر ٠

حين فتح العرب مصر اتخذوا منها قاعدة ومنطلقا٠ قاعدة للجند العرب ٠ ومنطلقا للفتح العربى للشمال الافريقى ٠

ولقد كانت مصر عند العرب هى أم الدنيا حتى لقد كان الخلفاء الأولون وخاصة فى العهد العربى من تاريخ الامة الاسلامية يعينون الولاة فى مصر من قرابتهم ٠ من أبنائهم أو أبناء عمومتهم أو اخوتهم ٠

ولقد هاجر الى مصر من القبائل العربية الشىء الكثير ٠ بعضهم جاء من الجزيرة أو بلاد الشام ، وبعضهم جاء من الشمال الافريقى بعد فتحه أو من بلاد الاندلس بعد خروج العرب منها ٠

ولقد اختلط هؤلاء جميعا بالمصريين وصاهروهم ، وانتشروا فى القرى والكفور والعزب وأحدث ذلك كله الى جانب القرآن الكريم أثره فى التعريب ٠ فبدا المصريون عربا فى كل شىء ٠ فى اللغة ٠ فى الفكر والثقافة ٠ فى العادات والتقاليد ٠

لقد غير العرب الحياة المصرية تغييرا كاملا ٠ وجعلوا من المصريين أمة جديدة ٠ أمة نسيت ثقافتها الفرعونية وتثقفت بثقافة عربية ، وأصبح رصيدها الفكرى ورصيدها الثقافى عربى الطابع ، وليس فرعونى السمة والنزعة ٠

والآن ما الاطار القومى الذى يقوم على الاساس العلمى والثقافى ؟

انه العروبة بدون شك ٠

ان قوميتنا عربية أراد المضللون أم لم يريدوا ٠

ان العروبة هى التى تضمنا جميعا مهما تكن الخلافات العقائدية او المذهبية ٠ وذلك أمر صنعه التاريخ ولم نصنعه بأيدينا ٠

فلنساهم فى مجد العروبة بكل اخلاص ٠ ولتكن تضحيتنا فى سبيل العروبة بقدر ارتباطنا بها ٠

دكتور محمد أحمد خلف الله

المازنى يسخر من ناقديه

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

فى شهر اغسطس من عام ١٨٩٠ ولد المازنى ، وفى شهر اغسطس من عام ١٩٤٩ غاب عن دنيانا الكاتب الساخر الاستاذ/ابراهيم عبد القادر المازنى لقد كان المازنى شاعرا وأديبا وقصصيا وناقدا وصحفيا ومترجما .

وكان فى هذه الالوان كلها ساخرا فهو يسخر حين يتناول بالوصف قطاعا من الحياة المصرية التى لم يترك منها جانبا لم يصوره ، وهو يسخر حين يتناول كاتبا أو كتابا بالنقد وهو يسخر قصاصا من ابطال قصصه ، ويسخر صحفيا من السياسة والصحافة والاحزاب ولم تستطع الترجمة بالتزامها وتحريها الدقة والمطابقة أن تحجب هذا الجانب فى شخصيته الفذة .

والكلام عن سخرية المازنى فى الشعر والمقالة والقصة والنقد لا تعوزه الشواهد بل لعلها من الكثرة بحيث يتنوع ويمتع ويشوق . ولكنى ساقصر حديثى اليوم على شاهد طريف من باب الترجمة .

نشر المازنى مسرحيته (غريزة المراة او حكم الطاعة) فتناولها الاستاذ (محمد على حماد) الناقد الفنى للبلاغ . واعلن فى نقده ان المازنى انما ترجم بتصرف رواية (الشاردة) للكاتب الانجليزى جالسورذى .

ودفع المازنى التهمة الموجهة اليه على صفحات البلاغ بأن ترجم على صفحات جريدة السياسة (الشاردة) وقابلها فى نفس المكان بروايته (غريزة المراة) ليدع من يشاء ان يقارن بينهما .

ولكن ناقده اتهمه فى هذه المرة بانه تمسك بحرفية اللفظ فى الترجمة محاولا خلق بعض الاختلاف بينها وبين الترجمة الاولى . وضرب لذلك مثلا المشهد الختامى من الفصل الاول فقابل الحوار الذى يدور بين الزوجين فى (غريزة المراة) بنظيره فى ترجمة المازنى (الشاردة) . وصنع مثل هذا فى الفصل الثانى كله .

وهنا نذكر ان الاستاذ/محمد على حماد جعل نقده فى كتاب سماه (المعول) وبهذا نقل المعركة من الصحف الى مجال البحث والدراسة .

ومضى الناقد فى مقابلته حتى الفصل الثالث الذى قدم بين يديه بأنه مزيج عجيب من مشاهد كثيرة فى رواية (الشاردة) صنعه الاستاذ /المازنى فى معمله فاخذ قطعة من هنا وقطعة من هناك ونقل الحوار الذى يجرى بين (كلير) و (ماليس) فى ختام الفصل الثانى فى الشاردة واضاف عليه نبذا متفرقة من الفصل الرابع .

وقد ترجم الناقد الفصل الرابع من (الشاردة) واثبت النص الانجليزى الذى ترجم عنه . وقابل بعد هذا الحوار الذى دار بين بطلة غريزة المراة والشاب الذى رآها فى منزله بالحوار الذى دار بين بطلة الشاردة والشاب الذى التقت به فى الحانة . والحوار الأول من تاليف المازنى والحوار الثانى من ترجمة الاستاذ / الناقد عن (الشاردة) فى الانجليزية .

كما اخذ الناقد على المازنى عمده الى النص المطبوع لغريزة المراة وتغيير معالمه بالحذف فى مواضع والاضافة فى مواضع اخرى . وراح يعرض نماذج من غريزة المراة فى ثوبها الاول ويقابلها بنظائرها فى غريزة المراة التى نشرها المازنى فى السياسة وهو يساجله .

بل انه آخذه بنقل ملاحظات جالسورذى حتى البسيط منها الذى يتصل بالحركات من دخول وخروج وكان (كلير) بطلة جالسورذى (وليلى) بطلة المازنى تلميذتان فى فصل واحد فاذا قيل « قيام » وقفت الاثنتان ، واذا قيل « جلوس » جلستا . كل لفتة أو اشارة من (كلير) تقابلها حركة مماثلة من (ليلى) كما يفعل الجيران .

وقد كتب المازنى مقدمة للطبعة الثانية من روايته (غريزة المراة او حكم الطاعة) نص فيها على انه نقح الرواية وزاد عليها فصلا هو الثالث .

والحقيقة ان (التعديل الجسيم) ــ والوصف من عند المازنى ــ الذى يشير اليه انما هو فى اضافة شخصية جديدة يوسعها سبا وتشهيرا وتنديدا على لسان (اليوزباشى) الذى وضع المازنى على لسانه كل ما يريد أن يقوله لناقده . وليس من

قبيل المصادفة ان يخلع عليه اسم الناقد حرفيا . وبغض النظر عن الشتائم فان الفكرة طريفة شيقة ساخرة كصاحبها . وأى وصف لها لا يصورها بل ان أى وصف عاجز ايضا عن نقل الجو الفكاهى الذى خلقه المازنى . لهذا انقل هذا الجزء من المسرحية وهو ليس كبيرا على اى حال ـ لنضحك مع المازنى الذى كان مولعا برسم الابتسامات على شفاه الناس وأشاعة الضحك فيهم · حتى انه كتب رثاء بنفسه قطعة ضـــاحكة من الادب زاعما انه يريد ان يبتسم الناس عندما يسمعون نبأ موته لان الدموع تجف سريعا ولكن الضـــحكة تعيش طويلا .

فلنضحك مع المازنى الآن الضحك الذى عجزنا عنه فى موته ، كمـــا كان يريد ··· نفتح الآن مسرحيته (غريزة المراة او حـــكم الطاعة) على الفصل الثالث وفيه يشير شوقى ضابط البوليس الى الجندى الذى اضـــافه المازنى الى المسرحية وسماه « حماد » ايضا ...

شوقى : تعال يا حماد ·

(يتقدم حماد بملف الاوراق ويحيى التحيـــة العسكرية ويمد يده بالملف) ·

شوقى : كلا · اجلس هنا واكتب ما امليه ·

(حماد يخرج اوراقا ويبحث فيها ثم يعيد بحثها وتقليبها ويطول ذلك منه) .

شوقى : ما هذه البلادة ؟ اسرع .

حماد : خلاص يا افندم .

شوقى : هات صورة الحكم .

حماد : « يمد يده بورقة » اهه .

شوقى : (يتناولها وينظر اليها ثم يعبس ويظهر الضجر) ياغبى انى اريد صورة الحكم الصادر من المحكمة الشرعية .

حماد : ماهو .

شوقى : باحمار (يهز الورقـــة ثم يرميها فى وجهه) ان هذا هو الطلب المقـــدم من البك الى المحافظة ..

حماد : يعيد تقليب الاوراق .

شوقى (بملل) (يجر الملف) لست أدرى من اين جاءوا بك (يخرج ورقة بيضاء ويرمى بها اليه) خذ اكتب .

حماد : «يسوى الورقة ويخرج قلما من اقلام سوان » افندم .

شوقى : « انه فى يوم .... الساعة .... » أول « السطر » نحن اليوزباشى « الا تعرف اسمى؟ باللغباوة ..

حماد : يا افندم ..

شوقى : « مقاطعا باشمئزاز » حسن حسن ·· نحن اليوزباشى « لا يزال الغبى منتظرا ان امليه اسمى ؟

خيرى : وماذا تنتظر من آلة بلا ارادة أو عقل ؟

شوقى : صحيح ، نهايته ، اعذرونا يابك ؟

خيرى : ولماذا لا تكتب انت وتريح نفسك ؟

شوقى : لقد بدأ المحضر بخطه فيحسن ان يتمه بخطه (ويلتفت الى حماد وينظر فى الورقة التى امامه) اليوزباشى بالواو يا حيوان .

(حماد يضطرب ولا يدرى كيف يصلحها) ...

لا تفعل شيئا دعها كما هى (اليوزباشى شوقى المعاون بقسم) ... بناء على اوراق الحكم الشرعى مر .. فو .. قه ، واوقاف هه مرفوقة ... ايوه لا تكتب ايوه يابهيم ـ الواردة من المحافظة قد انتقلنا ومعنا المرشدة ···· الخ ·

***

وبعـــد فان الحقيقة أن النقد صحيح فى جملته ولكن الذى نريد ان نقوله هنـــا ان المــازنى حين أحرج ناقده وضـــيق عليه ، احتال على الانتقـــام منه باضافة فصل جديد الى المسرحية المقتبســـة يبعد عنها شبح التهمة ولو قليلا ويفسح فى الوقت نفسه لشخصية مسكينة تتلقى الشتائم واللعنات بالاصالة عن نفسها وبالنيابة عن الناقد الخبيث الذى كشف السر .

وبغض النظر عن (الشتائم) كما قلت ـ وهى مما لا يرضاه احد لنفسه أو لغيره ـ فانها بلا شك حيلة بارعة من الاستاذ/المازنى فيها من فكاهته وخفة روحه الكثير .

د. نعمات احمد فؤاد

الرائد القصصي شحاته عبيد
هل هو حي يرزق ؟
للأستاذ عباس خضر

رايت « اسمه » فقط فى كتب حاولت أن تؤرخ للقصة المصرية الحديثة . وسالت عنه بعض لداته المشتغلين بالفن القصصي ، فلم اظفر بغير «اسمه» وبان له مجموعة قصص قصيرة .

حتى الصحف التى رحلت اليها فى مخازن دار الكتب بالقلعة ، والتى كانت تصدر فى الفترة التى كان يكتب فيها ومابعدها ، لم اعثر فيهـا على اى شىء عنه ولو اسمه ..

شحاتة عبيد ياناس .. احد رواد القصة فى مصر .. الا يعرف احد عنه شيئا غير مجرد الاسم .. وغير انه اخو عيسى عبيد !

اما عيسى فقد انصفه يحيى حقى بفصل فى كتابه الصغير الحجم الكبير القيمة «فجر القصة المصرية» وقد جاء فى هذا الفصل ان عيسى له اخ كان «يكتب القصص ايضا اسمه شحاتة عبيد » .

واخيرا قال الاستاذ يحيى حقى :

ـ اما عيسى فقد مات ، واما شحاتة فلايزال حيا .

قلت بلهفة :

ـ اين اجده ؟

ـ فى محل قماش بشارع قصر النيل ..

ـ الشارع كبير ، فاين هو منه ؟

ـ اسال عنه فى كل محل قماش فى الشارع .. وسلم لى عليه ..

لم اجد امامى غير ان امسك شارع قصر النيل بالقاهرة من اوله .. وانا اقول فى نفسى : هذا هو اول الخيط ..

ورحت اسال .. عمى الذى جهلته الحياة الادبية ان يكون علما فى عالم التجارة والاقمشة .. ولكنى وجدتنى فى موقف المستجوب الثقيل الذى يعطل البائع والجالس على « الكبس » دون فائدة منه ، نمـا هو بالشارى ولاحتى بالمتفرج على البضاعة ..

واخيرا حسبت اننى اهتديت الى اول الخيط المنشود .. اذ قال لى الرجل الواقف فى مدخل محل من محال الاقمشة :

ـ من انت ؟ وماذا تريد منه ؟

لمحت فى اسئلته انها من نوع آخر .. وان كانت هى ايضا ضائقة بهذا الذى لانفع فيه للمحل..

وكانت نتيجة الاسئلة والاجوبة ان شحاتة عبيد توفى منذ سنتين .. وكان يدير هذا المحل ، وانه لا اولاد ولا اقارب له ، ولم يترك الا زوجته ، وهى سيدة كبيرة فى السن لااعرف شيئا ، وقد سافرت عقب وفاته الى لبنان .

هكذا قال لى الرجل الذى يدير المحل الآن مكان « المرحوم » .

اهكذا انتهى احد رواد القصة العربية الحديثة ؟ ابتلعه النسيان ، لم ينل تقديرا على باكورة انتاجه، فهجر الادب بعد الجولة الاولى ، او على التحقيق هجر الانتاج الادبى . وظل نحو اربعين سنة يعيش فى قلب القاهرة التى ظلت تعج بالنشـاط الادبى طيلة هذه المدة دون ان تلتفت اليه .. هل كان يتابع الحركة الادبية ومدها وجزرها وتطوراتها فى هـذا الزمن الذى يعد طويلا فى حياة انسان ؟ هـل كان يطلع على مايكتب عن الواقعية و « مبتدعيها ! » فى مصر .. بعد نحو نصف قرن مما كتب هو وشقيقه عيسى من قصص ومقدمات لمجموعاتهم يهـاجمون فيها الرومانسية اشد هجوم ويدعـون بحماسة وحرارة الى مذهب الحقائق (الريالزم) ؟ هل كان شحاتة عبيد يقرا الكتابات الاخيرة التى لا جديد فيها بالنسبة لما كتبوه غير كلمة « الواقعيـة » بدلا من « مذهب الحقائق » ؟ وماذا كان شعوره يا ترى ؟

كنت اود ان القاه واعرف منه كل ذلك ، واعرف على الاقل متى ولد ، واين ، هو واخوه ، ومتى توفى عيسى ، وماذا كان يعمل .. الخ ، ولكن .. هـل سبقنى الموت اليه ؟

وبحثت فى فهـارس دار الكتب ، فى الكتب الموضوعة من المؤلفين ومؤلفاتهم ، فلم اجد لشحاتة شيئا ، بل لم اجد له ذكرا اى ذكر .. ووجدت لعيسى مجموعتين قصصيتين ، احداهما « احسان هانم » وفى الدار منها نسختان استعرت احداهما ، والثانية « ثريا » وليس فى الدار منها الا نسخة واحدة اخذتها بتصريح خاص من امين الدار .

ولمحت على المجموعة الاولى عنوان المؤلف فى هذه

العبارة « يطلب من المكاتب الشهيرة ومؤلفه بعنوانه بشارع الازهر عطفة الاكراد نمرة ١ » وقال لى الاستاذ يحيى حقى : « لا فائدة ، ربما لا تجد العطفة نفسها » .

ولكن التعلق بأوهى الاسباب دفعنى الى شارع الازهر »

وهناك وجدت عطفة الاكراد ، والمنزل الاول فيها «رقم ١» . منزل عتيق عمره — ولا شك — اكثر من الاثنتين والاربعين سنة التى مضت على ظهور الكتاب الذى جئت ، لا لاطلبه من مؤلفه ، بل لأطلب مؤلفه منه ..

وعدت الى الكتاب .. كتاب «لربا» فرايت باخره اعلانا عن كتب تطلب من «مكتبة الوفد بشارع الفجالة بمصر» بينها الضالة المنشودة «درس مؤلم — مجموعة قصص عصرية لشحاته افندى عبيد » .

اذا كان خيط حياة شحاته عبيد قد افلت منى أو من التاريخ ، تاريخ مصر الادبى الذى تبدا كتابته، فهذا خيط آخر لانتاجه ..

امسكت بالكتاب رفيقا به حانيا عليه ، اذ رايت ورقه الاصفر يكاد يذوب فى يدى (صدر سنة ١٩٢٢) ورايت اوله مقدمة لمحت فيها كلاما على « مذهب الحقائق » وحملة على الكتاب الخياليين ، كما رايت فى ختام المقدمة قوله : « واما قصصنا فهى الحياة المادية البسيطة بما فيها من آلام وآمال ، نصورها وغايتنا اتقان تصويرها مع تحليل كل ما يعتورها من الصدمات والنزعات ، وغاية ما نؤمل ان تتمكن الاجيال القادمة من معرفتنا معرفة حقيقية من نفس كتابتنا » .

قال لى صاحب المكتبة وقد راى ما لا بد قد بدا على من الفرح بالكتاب الذى اسندته الى صدرى باحدى يدى كانى احتضنه .. ورحت اخرج ثمنه باليد الاخرى ، قال الرجل وكانه يستعيد ذكريات قديمة :

— هذه قصص زمان .. اين منها ما ينشر فى هذه الايام ؟

— الا قل لى .. اين شحاته عبيد الآن ؟

— هيه .. من يعرف .. لا بد انه مات .

— هل كنت تعرفه ؟

— طبعا .. كانوا تلامذة .. هو واخوه عيسى .. وطبعنا لهم هذه الكتب على سبيل التشجيع ..

ومجموعة « درس مؤلم » هى الكتاب الوحيد الذى نشره شحاته عبيد ، وان كان قد اعلن على ظهر الغلاف عن مجموعة أخرى اسمها « الاغلال » قال انها « تحت الظهور ووصفها بانها » مجموعة قصص يبين فيها المؤلف الاغلال المطوقة لأعناق الأسر المصرية بدرس تحليلى حاول أن يتحدى فيه كتاب الغرب العصريين » .

ولكن هذه المجموعة لم تصدر .

و « تحدى » كتاب الغرب كان من مقتضيات الدعوة الى ادب مصرى والثورة على الوقوف عند الترجمة والاقتباس من الآداب الاجنبية واثبات ان المصريين لا يقلون عن الغربيين فى المقدرة القصصية . ومن ذلك قوله فى المقدمة :

« قد يزعم البعض أن ليس لدينا من الكتاب من يجارى كتاب الغرب فى تاليفهم ، وذلك لا ينكر، غير اننا راينا اكثر من واحد من كتاب الناشئة الجديدة الناهضة يترسم خطى كتاب الغرب ويحاول محاولة لو سوعد فيها لضارعهم بعد زمن يسير » .

وكتاب الناشئة الذين يشير اليهم كان منهم فى ذلك الوقت عيسى عبيد ومحمود تيمور ومحمود طاهر لاشين وابراهيم المصرى وحسن محمود وحسين فوزى واحمد خيرى سعيد ويحيى حقى . وهم رواد الفن القصصى فى الادب العربى الحديث. منهم رواد بالانتاج ، ومنهم رواد نظريون دعاة ، ومنهم من جمع بين النظرية والتطبيق ، ومنهم من يئس بعد الشوط الاول ، ومنهم من اختطفه الموت من على غصن الادب قبل ان يأتى اكله كاملا ، ومنهم من دأب وظل يشق الطريق الوعر حتى اليوم ، وان كان الطريق قد صار اليوم ممهدا مرصوفا .

وكان شحاته عبيد ممن يئسوا بعد الشوط الاول ، وعاش بعيدا عن الحركة الادبية فى قلب القاهرة نحو اربعين سنة .. ولست ادرى امات حقا ام انه ما يزال حيا يرزق ..

ولقد شككتنى فى رواية مدير محل الاقمشة ان الاستاذ ابراهيم المصرى قال لى انه راى شحاتة عبيد من نحو ستة اشهر ، كما قال انه لا يعرف له مكانا .

يا اولاد الحلال .. رائد قصصى .. من رآه ؟ والاجر والثواب على الله ...

عباس خضر

مسرح شوقي

للأستاذ على متولى صلاح

اما ان شوقى امير الشعراء فذلك امر انعقد الاجماع عليه ، وغنى له حافظ ابراهيم فى حفل التكريم الكبير الذى اقيم له بدار الاوبرا فقال : ـ

امير القوا فى قد اتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

واما انه مؤلف مسرحى فذلك هو ما سنتكلم عنه اليوم !

.. وقبل ان نتكلم من خصائص شوقى المسرحية نقرر حقيقة تاريخية وهى أن شوقى يعتبر اول مؤلف مسرحى جاءنا بآثار يمكن ان توصف بانها آثارفنية وادبية ذات قيمة، وبانها آثار يمكن ان تدخل الى معاهدنا وجامعاتنا لتكون موضعا للدراسة بها ، وان شوقى بتاليفه للمسرح قد حل « عقدة » كبيرة كانت تفشى مجتمعنا وتتغلغل فيه ، وتلك هى ذلك « التحرج » الذى كان عليه الناس فى نظرتهم الى المسرح !

فقد كان الناس ينظرون الى المسرح نظرة ريبة وحذر بل نظرة احتقار وازدراء للمشتغلين به من النساء ومن الرجال معا ! حيث لم يكونوا يرون فيه الا لهوا وتسلية رخيصة لايجوز ان يهبط اليها علية القوم واكابرهم المحافظون ! وكان الكثير منهم يكف عن الذهاب الى المسارح تصونا وحفظا على منزلته و «مركزه» ! والبعض يذهب اليها مستخفيا حذار ان يراه الناس فيحتقروه .. !

فلم يكن معقولا ـ مع وجود هذه النظرة ـ ان يشارك كبار الكتاب فى التاليف لذلك المسرح المهين المحتقر لدى الناس حتى لا تنتقل عدواه اليهم فيهانوا ويحتقروا !

فاما اشترك شوقى ـ وهو من علية القوم بل من الطبقة الارستقراطية فيهم ـ بهذا الانتاج الضخم للمسرح ، تغيرت النظرة الى المسرح ، والى المشتغلين به تمثيلا وتاليفا ، وشارك فى الكتابة له من لم يكن يشارك من الكتاب ، وذلك فضل عظيم لشوقى على المسرح .

ونحن ـ كما هو معلوم ـ قد عرفنا المسرح منذ عام ١٨٤٨ حيث ظهر ـ اول ما ظهر ـ ببيروت على يد تاجر اسمه « مارون نقاش » فى صورة هزيلة ضعيفة ، واستمر على ذلك الهزال والضعف متنقلا بين البلاد العربية المختلفة نحو ثمانين عاما الى ان جاء العملاق « شوقى » فاضفى عليه حياة وقوة واكسبه ثروة طائلة .

بدا « شوقى » يؤلف للمسرح منذ سنة ١٩٢٧ فاخرج عددا من المسرحيات كانت اولاها « مصرع كليوباترا » التى احدثت ضجة كبيرة فى دنيا الادب والفن ، بل احدثت ما يمكن ان نسميه « انقلابا » فى هذا الميدان ، وظل حديثها شغل الاندية والصحف فى البلاد العربية وقتا غير قصير .

ثم تلتها مسرحيات «على بك الكبير» ، «قمبيز» « مجنون ليلى » ، عنترة » ، اميرة الاندلس » ثم كوميديا « الست هدى » ..

وجميع هذه المسرحيات كتبها شوقى ـ كما هو معروف ـ شعرا ! فما هو مدى صلاحية الشعر للمسرح ؟

نحن نعلم ان المسرح ـ كما يقول فقهاؤه ـ للناس جميعا ، وانه يجب ان يفهمه الناس جميعا ، وأن يؤثر فيهم جميعا تاثيرا ما .... وانه يقوم الآن على نظرية « الحائط الرابع » وهى تلك النظرية التى تقرر ان ما يراه الناس فى المسرح هو عين ما يرونه او ماينبغى أن يكون هو عين ما يرونه فى حياتهم اليومية المتكررة داخل جدران اربعة ، ولكن هذه الجدران الاربعة او الحيطان الاربعة قد ارتفع حائط منها ـ بارتفاع الستارة ـ فاذا بنا نرى كل ما يجرى داخل الحجرة دون حجاب ! ... فهل يتكلم الناس داخل بيوتهم شعرا أو يتكلمون باللغة الفصحى !

ولكننا لا نذهب هذا المذهب البعيد الذى يضرب فى الخيال كثيرا ، ونقرر الراى الذى اصطلح عليه وهو ان لغة المسرح ـ عندما تكون لغته الفصحى لا العامية ـ هى اللغة التى يمكن أن نسميها اللغة « الوسطى » وهى العربية السهلة السمحة التى لا تشق على القارىء او المستمع العادى بجزالتها وفصاحتها ولا تهبط الى مستوى العامية .

فما موقف الشعر من هذا ؟ وهل تصلح كل بحوره للمسرح ويمكنها ان تساير احداثه المتلاحقة السريعة بحيث لا تعطل المشاهدين ولا تعرقل متابعتهم لهذه الاحداث وفهمها ؟

قال بعض القائلين بأن الشعر لا يصلح — على الاطلاق — لان يكون لغة للمسرح ..

لانه بطيء تقيل الحركة وئيدها ... ولانه قيود واغلال تعوق السرعة والانطلاق ... ولانه قد يقوم على المجازات والرموز والظلال التي قد تضلل بعض القراء أو بعض المشاهدين فلا يفهمون الكلام على وجهه الصحيح !

وقال بعض القائلين ان بحرا واحدا من بحور الشعر هو الذى يصلح للمسرح هو بحر « الرجز » لسهولته وخفته وقربه من الكلام النثرى بحيث لا يشعر القارىء أو المشاهد بفارق كبير يبعده عن الواقع الحي الذى يعيشه ويرغب في أن يراه ممثلا امامه على خشبة المسرح ... ولقد استشعر شوقي نفسه مدى طواعية هذا البحر وسهولته فاختاره لكتابه الذى عقده على عدد من القصص والسير العربية الشهيرة وسماه « دول العرب وعظماء الاسلام » وجعله كله من بحر « الرجز » دون سواه ومهد له بقوله : —

واخترت بحرا واسعا من الرجز
قد زعموه مركبا لمن عجز
يرون رأيا ... وارى خلافه
والكاس لا تقوم السلافة

ولاندرى كيف استشعر شوقي ذلك في كتاب للتاريخ والقصص ولم يستشعره في المسرحيات التي تتطلب سهولة اكثر لتدنو من افهام « جميع » الناس الذين يختلفون اليها .

وقال غير هؤلاء وهؤلاء بأن «الشعر» لا يلقى على خشبة المسرح القاء لانه ليس كلاما عاديا كالذى يتكلم به الناس ، وانما هو غناء يتغنون به ، فلا يجوز أن تعرض مسرحية شعرية الا على طريقة « الاوبرا » اى تلقى غناء متصلا لا يتخلله شيء من الالقاء .

وهذا هو عندنا الراى الصحيح ... فلو ان مسرحيات شوقي يعاد عرضها في صورة «الاوبرا» بعد اجراء بعض التعديلات بها وبعد تلحينها ... لاكتسب الفن المسرحي عندنا ثروة ما بعدها ثروة، وهذا ما نرجو ان تنهض به وزارة الثقافة والارشاد القومي في عهدها الزاهر الذى تعيشه الآن ، والذى ليس شيء فيه بمستحيل .

وشوقي شاعر يملك الشعر كل نواحيه واقطاره ، ومن هنا كان مأتى مسرحياته !

فهو ينظر — أول وآخر ما ينظر — الى الشعر !

.... ينظر الى اجادته والى جزالته وفخامته واطرابه وجرسه وجميل وقعه لدى السامعين !

وهو في مسرحياته هذه يطلق القصائد أو على الأصح « المطولات » مجلجلة تذكرنا باعواد المنابر وتنسينا خشبة المسرح التي نراها امام اعيننا ! وهذه « المطولات » مبثوثة في المسرحيات جميعها لاتكاد تخلو منها بضع صفحات كأنها دواوين شعر ..

ولو اردنا ان نحصى هذه « المطولات » عدا لاعيانا ذلك ، ولكننا نشير الى البعض منها ، كتلك القصيدة التي تناجى بها « كليوباترا » نفسها عندما همت بالانتحار والتي تزيد على الستين بيتا والتي مطلعها : —

اليوم اقصر باطلي وضلالي
وخلت كاحلام الكرى آمالي
وصحوت من لعب الحياة ولهوها
فوجدت للدنيا خمار زوال
وتلفتت عيني ... فلا بمواكبي
بصرت ... ولا بكتائبي ورجالي

والتي تختتمها بقولها : —

اموت كما حييت لعرش مصر
وابذل دونه عرش الجمال
حياة الذل تدفع بالمنايا
تعالى حية الوادى ... تعالى

ثم تتناول « كليوباترا » الافعى بعد القاء هذه القصيدة مباشرة وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت كيلوباترا بعد لحظة !

ولا ندرى كيف يمكن أن يقول شخص وهو في موقف الانتحار مثل هذه « المطولة » مع أن الثابت الذى يجمع عليه علماء النفس أن الانسان لا يمكن ان ينتحر وفيه مسكة من « عقل » ولن يقدم على الانتحار الا اذا صار الى حالة « جنون » ... وأنه اذا وقف ساعة الانتحار موقفا بطيئا ولم يندفع الى عمل حاسم فانه سيعدل حتما عن انتحاره ويعود فيتمسك بالحياة !

وكتلك « المطولة » الاخرى التي تبلغ اكثر من ستين بيتا والتي قالها صاحبها « انطونيو » عند ما بلغه أنها انتحرت والتي مطلعها : —

روما حنانك واغفرى لفتاك
اواه منك ... وآه ما اقساك
روما سلام من طريد شارد
في الأرض ... وطن نفسه لهلاك

اليوم يلقى الموت .. لم يهتف به
ناع ... ولا ضجت عليه بواكى

ثم تنتهى بان يطعن هو الآخر نفسه بخنجره فيخر على الارض جريحا ثم يموت بعد قليل !

وكذلك « المطولات » الكثيرة التى يمكن الرجوع اليها بسهولة فى كافة المسرحيات وخصوصا فى مسرحية « مجنون ليلى » التى نلمح فيها ظاهرة اخرى وهى عناية شوقى المسرفة بان يجعل شعرها قريب الشبه جدا بشعر « المجنون » حتى قيل عنها انها صفحات لم تنشر من كتاب الاغانى لابى الفرج الأصفهانى !

وهذه « المطولات » هى ما كان يسمى عند اليونان الاقدمين باسم المنولوجات ، وقد صارت اليوم من اقبح عيوب المسرح المعاصر .

وشوقى اتخذ جميع موضوعات مسرحياته من التاريخ اللهم الا واحدة هى « الست هدى » .. والتاريخ فوق انه مركب ذلول لا يجهد المؤلف نفسه كثيرا فى ابتداع مادته لانها بين يديه ، ويلجا اليه عادة المؤلفون المبتدئون الذين لا يجدون فى انفسهم القدرة الكافية على الخلق والابتكار ... نقول ان « التاريخ » فوق ذلك لم يعد المادة الوحيدة التى يمكن ان يقال انها اكثر المواد صلاحية للمسرح الذى تعتبر مهمته الاولى هى علاج مشكلاتنا المعاصرة التى تلاحقنا فى حياتنا اليومية كما هى الحال فى المسرح الاوروبى ـ الذى استقينا منه مسرحنا ـ منذ القرن الثامن عشر .. ولهذا كانت مسرحية « الست هدى » التى تمثل نطاقا من حياتنا الراهنة انجح مسرحياته كلها مع انها اخفها مئونة واقلها احتفاء بالشعر !

على ان « شوقى » قد خالف التاريخ فى كثير مما كتب من مسرحياته مثل مسئولية انتحار كليوباترا حيث فسر انتحارها بانه خوف من ان تمتهن فى روما مع ان التاريخ يقرر ان ذلك الانتحار ما كان الا لفشلها فى تصبى عدوها الظافر ... وكتبرئتها من مسئولية انتحار « انطونيو » على حين ان التاريخ يحملها هذه المسئولية كاملة .... وكتفسيره غزو « قمبيز » بانه راجع الى خديعة فرعون بتزويجه ابنة فرعون السابق وايهامه بانها ابنته ، مع ان التاريخ يحدثنا بان ذلك الغزو يرجع الى عامل آخر هو السباق الذى كان قائما بين دولتى اليونان والفرس على الجاه والنفوذ والسلطان وتوسيع الرقعة .... وغيرها

ومسرحيات شوقى يقام فيها الكثير من الولائم وحفلات الغناء والطرب ومعاقرة الصهباء ، كما تقام فيها اسواق للخطابة ومنابر للوعظ والارشاد، وللمباريات بين الشعراء كانها « سوق » عكاظ ..

كما اننا نراها تموج بالناس من هنا ومن هناك على انماط ودرجات مختلفة ... كما نرى بين ثناياها الوانا من « الحب » الخفى او الواضح الذى يتاجج بين بعض الاشخاص الذين لا تربطهم بموضوع المسرحية رابطة ... كما نسمع فيها كثيرا من القصص بل من « الحواديت » !

وكل هذا الذى نراه أو نسمعه لا يمت بصلة الى موضوع المسرحيات ولكنه ليس الا « حشوا » او ملء فراغ ! وتلك امور لا تمت الى التاليف المسرحى الصحيح بشىء ...

وبعد : ـ

فانه يكاد يكون ضربا من المستحيل ان نلم هنا بكل مسرحيات شوقى الماما كافيا ولكنها اشارات سريعة الى بعض الظواهر البارزة بها

ويمكن أن نقولها كلمة واحدة : ـ

وهى أن مسرحيات شوقى ـ دون شك ـ ثروة كبيرة لنا ، ولكنها فى صورتها الحالية لا تدخل فى اطار المسرح الصحيح بقواعده والتزاماته التى اصطلح عليها فى عصرنا الحاضر .

وهى تفيض بالشعر العالى الرفيع الذى نفتقده الآن ، ولكنه على اية حال « شعر » فقط !

والراى عندنا هو اما ان يلتقط هذا الشعر الرفيع من تلك المسرحيات ويتحول الى غناء ـ لانه أقرب ما يكون الى الغناء ـ نثرى به اغانينا ونرفع مستواها ، واننا لواجدون فيها الكثير من ذلك

واما ان تلحن هذه المسرحيات وتعرض علينا عرضا جديدا فى صورة « اوبرات » غنائية ، وبهذا نكون قد كسبنا كسبا كبيرا ، وانتفعنا بها اعظم انتفاع ونكون قد صنعناها فى موضعها الصحيح الذى يضمن لها الخلود

اما ان نتركها هكذا لا هى بالمسرحيات الحية ذات الحرارة ، ولا هى بالاغانى ، ولا هى بالاوبرات، فان شاننا معها يكون كالذى يهمل ثروته ويصر على اهمالها حتى تفنى وتزول !

على متولى صلاح

الشعور الديني والشعر
في المحنة العرابية

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

من المبادىء التى تضمنها الميثاق : «ان القيم الروحية الخالدة ، النابعة من الاديان ، قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من اجل الخير والحق والمحبة » .

ان بلادنا العزيزة قد شهدت محنة قاسية بين الحادى عشر من يوليو عام ١٨٨٢ يوم ضرب الانجليز الاسكندرية بقنابلهم غير مراعين سلطانا لضمير ، ولا احتراما لقانون ، ولا معنى لانسانية ، وبين الثالث عشر من سبتمبر من ذلك العام الحزين ، يوم استسلم عرابى وصحبه الابطال .

***

ولقد ظهرت فى تلك الفترة روح الوطنية المصرية قوية مؤمنة بحقها فى حياة كريمة ، وقاومت ماوسعتها المقاومة ، ولم تحن الراس امام غطرسة الخديو توفيق ولا جبروت الغاصبين ، كما ظهرت روح الخنوع والمذلة من جانب الخديو ، الذى لم يكن يفكر الا فى بقائه حاكما ولو على اسنة الرماح واشلاء الوطنيين المصريين ، فهو لم يكن مصريا ولا عربيا حتى يغضب لاغتصاب الديار المصرية ، وهو ليس من سلالة أمراء البيت العثمانى حتى يلجأ الى آبائه وعشيرته ان هو لبث وقاوم وانهزم . وانما كان من سلالة رجل من عامة الرعايا العثمانيين ، وصل الى ما وصل اليه هو وذريته بالدهاء والمكر والخديعة ..

***

واستمر الصراع حوالى ثلاثة اشهر مريرا عنيفا : كان الخديو ومن انحاز اليه من ضعاف النفوس فى جانب ، يعتمدون على تأييد الانجليز ووعودهم المعسولة بالحماية والرعاية ... وكان عرابى ومن وقف الى جانبه من العلماء والضباط والاعيان فى جانب ، يعتمدون على ايمانهم بحقهم ، وعلى تأييد الشعب ، ومناصرته ، وبذله النفس والنفيس فى سبيل دحر الانجليز ، وخذلان الخديو واعوانه المارقين .

وفى دوى هذا الصراع الاليم حاول كل فريق من المتحاربين ان يستغل العاطفة الدينية لدى عامة الشعب ليبرر موقفه امام جموعهم ، ويكسب عطفهم ومعونتهم ، او يأمن جانبهم ويخفف من حدة سخطهم وغضبهم .

ولقد نشط خطباء المساجد فى طول البلاد وعرضها ، وكذلك الشعراء وكان اكثرهم من العلماء — فى الدعاية ضد الانجليز ، وما يترتب على انتصارهم من عدوان على حرمات الدين ، وهدم المساجد ، وتعطيل شعائر الاسلام ، وانهم لن يكونوا خيرا من اسلافهم الفرنسيين الذين اتخذوا من الازهر الشريف مرابط لخيولهم ..

***

وعندما انحاز الخديو علنا الى جانب الانجليز ، واقام تحت حمايتهم هو ووزراؤه بالاسكندرية تألف مجلس عرفى بالقاهرة يضم وكلاء الوزارات ، وكبار الضباط الموالين لعرابى ، وتولى هذا المجلس ادارة شئون البلاد ، واخذ يصدر القرارات المختلفة ، ولا سيما ما يتعلق بالاستعدادات العسكرية ، واستمرار المقاومة ، غير عابىء بأوامر الخديو لوقف القتال ، ولا بمنشوراته التى يعلن فيها عزل عرابى من منصبه ، ويبرر العدوان الاثيم . ثم تألفت لهذا المجلس جمعية عمومية تضم كبار العلماء والضباط والاعيان وبعض الامراء ، وبلغ أعضاؤها حوالى خمسمائة من خيرة الرجال .

***

وكان من مظاهر استثارة العاطفة الدينية لتحميس الشعب ، وحثه على البذل والفداء ، ذلك القرار الخالد الذى أصدرته الجمعية العمومية فى ٢٣ يوليو تعلن فيه ما أفتى به كبار العلماء وفى مقدمتهم الشيخ عليش بصراحة وقوة : من ان انحياز الخديو الى جانب الجيش المحارب يعتبر خروجا على الدين ، وان طاعته قد سقطت عن المحكومين ، وعصيانه اصبح امرا يوجبه الصالح العام ، ويقره الشرع الشريف ، وقد جاء فى ختام هذا القرار : « ورأينا وجوب توقيف اوامر الخديو مما يصدر من نظاره الموجودين معه فى الاسكندرية ، كائنة

ما كانت لاية جهة من الجهات ، وعدم تنفيذها ، حيث (ان الخديو) خرج عن قواعد الشرع الشريف، والقانون المنيف ..» .

ولم يتورع الجنرال « ولسلى » القائد الانجليزى من ان يحاول استغلال الشعور الدينى فى تهدئة الخواطر الثائرة ، ويخفف من حدة قرار الجمعية العمومية السالف ، فأرسل منشورا ملأ به جدران المنازل فى كل شارع يعد المصريين بانه لن يصيبهم منه أدنى ضرر ، بل انه « سيحترم دينهم وجوامعهم وعائلاتهم » ، وانه يود المساعدة « لردع العصيان الذى هو ضد الخديو الوالى الشرعى ، المعين من لدن الذات الشاهانية » .

وكانت الطامة الكبرى فى استغلال الشعور الدينى ، ذلك المنشور المشئوم الذى اصدره الخليفة بدسائس الانجليز ومكرهم وسعة حيلتهم - يعلن فيه عصيان عرابى وانه بمخالفته اوامر الخديو الوكيل المطلق للسلطنة السنية يعتبر خارجا على طاعة الخليفة ، وتعتبر اعماله مخالفة للشريعة الاسلامية .

وقد ابتهج الخديو بهذا المنشور ايما ابتهاج ، وراح يرسل اعوانه لتوزيعه على الضباط والجند وسائر الرعايا .

ولا جرم احدث هذا المنشور تأثيرا كبيرا فى حالة كثير من الضباط المعنوية واحس عرابى بخطره، فراح يحذر اعوانه ، ويحاول اقناعهم بأنها دسيسة انجليزية ، غير ان السموم قد سرت ، واتلفت من القلوب ما اتلفت .

***

ولقد كان للشعر فى تلك الفترة مجال اى مجال، ولما كان الشعراء حينذاك اكثرهم من علماء الازهر الشريف ، فقد كان الهدف الاول للقصائد الثائرة العاطفة الدينية وحث الامة على متابعة الجهاد المقدس لحماية الدين والوطن والاعراض .. ودحر الكفار اعداء الدين ، المتربصين بالمسلمين ودبارهم الدوائر .

***

ومن اطول القصائد التى نشرتها الوقائع المصرية قصيدة من ثمانية وسبعين بيتا للشيخ محمد التجار بمناسبة ما اذيع من نصر العرابيين فى بعض المعارك ، ومطلعها :

بالنصر قد جاء الكتاب مشيرا
وبه الى هادى الانام بشيرا

وبعد ان يصف استجابة الامة بمختلف طبقاتها لمعاونة عرابى ، ينتقل الى بيان ما كان يخشاه رجال الدين على المقدسات الاسلامية :

ورجال دين حيث قد خافوا على
ذرية من بعدهم تكفيرا
خافوا على اوطانهم من امة
خانت . وكم فضحت وفضت حورا
خافوا على جعل المساجد مربطا
للخيل . او جعل الرجال حميرا
خافوا على الكتب التى قد دونت
ولكم حوت علما يزيدك نورا
خافوا على آل الرسول وبيته
والله فضلهم عليك كثيرا
خافوا على الدين القويم واهله
من اشبهوا فى الاهتداء بدورا
خافوا على مفتاح بيت الله وال
بقع التى قد طهرت تطهيرا

***

وهكذا يستمر فى وصف ما يخشاه من فظائع الانجليز اذا هم انتصروا ، ويشرح اعمالهم السيئة ومطامعهم الاشعبية فى الوطن العربى كله . ثم يأخذ فى بعث الامل فى النفوس بقرب النصر للعرابيين :

عما قليل سوف يظفر جيشكم
ويجى عرابينا لنا منصورا
وترى الالى حملوا لواء النصر فى
حفظ البلاد ، وانجزوا المأمورا
ويسرنا تقبيل ترب نعالهم
فلقد بنوا لحمى الشريعة سورا

الخ ...

ثم قصيدة اخرى للشيخ محمد عبد الغنى من العلماء وهى من اربعة واربعين بيتا ومطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابى
ولا وقت السماع على الشراب

وبعد أبيات يقول :

ولكن ذا زمان الجد وافى
وذا وقت الفتوة والشباب

ووقت الاتحاد مع التصافى
وعقد عرا الاخاء والانتساب

ثم يشير الى ان حركة عرابى ليست الا دفاعا عن الوطن والدين :

وزير نال بالسيف المعالى
وانقذ مصر من أيدى الذهاب

وقام لنصر دين الله فيها
باخلاص وحزم وانتساب

وغير الحق لم يسلك سبيلا
وغير الصدق لم يدخل بباب

ثم قصيدة للشيخ احمد يوسف العبادى ومطلعها :

الام يسود فعل الجاهلينا
وتمنحهم بفضل (الجاه لينا)
ونخفض للعلوج جناح ذل
لترفع نصبهن فيجزمونا
(ولاحظ اثر الصناعة اللفظية)

ثم يبين فضل الشهداء ، واثر النصر فى بعث الروح الاسلامى :

وقل : لا تحسبوا الشهداء هلكى
بلى والله . احيا يرزقونا

ويبين فضل عرابى وصحبه :

واحييتم معالم دارسات
فدبت نشوة الاسلام فينا

ومن تلك القصائد قصيدة الشيخ المرصفى يشير فيها الى فضل عرابى فى مدافعة الانجليز وحماية الدين . ومن ابياتها :

يا صاح : قم واشكر الهك واحمد
فالدين منصور على يد احمد
بطل همام فى الخطوب مدبر
ذو همة بسديد راى اوحد

وللشاعر الاديب احمد رشوان الذى كان مصحجا بديوان الزراعة قصيدة رائعة من أربعة واربعين بيتا نشرتها الوقائع ضمن ما نشرت فى تلك الفترة ومطلعها :

نوال المعالى من طعان الكتائب
ونيل الامانى من ثمار المتاعب

ثم يأخذ فى حث الاهلين للتجمع فى صفوف القتال معللا اسباب ذلك :

فهيا بنا يا آل مصر لنصره
لتعزيز اوطان ، ودفع مصائب

فلا دين ان حل العدو بأرضنا
ولا عرض يبقى فى شباب وشايب

وبعد : فتلك هى الروح التى سادت الصراع ، ولقد وقف العرابيون ومن ورائهم طبقات الشعب جميعا مؤمنين صادقين ، باذلين اعز ما يملكون ، غير ان الدسائس والمكايد ، وضعف من لانت عزائمهم فاستجابوا لمجاملة الخديو ، وحسن النية عند من انخدعوا بمنشور الخليفة ، واستبسال الخديو فى المحافظة على كرسى الحكم ، ومطامع الانجليز الاجرامية ... كل هذه الامور وامثالها اضعفت المقاومة فى صفوف العرابيين ، واسلمتهم آخر الامر للهزيمة .

ولكن : استمع الى نظرة الميثاق لهذه الهزيمة :

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية ، واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير ، لم تكد تخفت حتى انطلقت اصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل . وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصائب والمصاعب » .

نعم . ولقد استمرت تلك الاصوات مدوية قوية حتى كانت ثورتنا المباركة فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ، وقد تم بفضل الله على يديها اقتلاع جذور الشر جميعا ، فطرد المستغلون والمستعمرون . وفى احد عشر عاما خطت بلادنا العزيزة فى مضمار التقدم والحضارة خطوات ، لم تكن لتخطوها لولا هذه الثورة المباركة فى مئات من السنين .

سعد الدين الجيزاوى

ركب النهضة في العالم العربي

نهضة قصصية في شمال افريقيا

للأستاذ فوزي عبد القادر الميلادي

الفكرة السائدة في المشرق العربي أن الادب القصصي في المغرب العربي لايزال يعيش حتى اليوم عالة على الادب القصصي في اوربا وعلى الاخص الادب الفرنسي يؤلف الاديب بالفرنسية او بلغة عربية غير سليمة اقاصيص تدور في فلك الادب الاوربي سواء من حيث الاسلوب او المضمون ، لذلك كانت فرحتي عظيمة عندما تلقيت في وقت واحد ستة كتب قصصية صدرت مؤخرا في تونس باللغة العربية لأدباء عرب من شمال افريقيا وهذه الكتب هي الاشعة السبعة ـ القلب الكبير ـ دخان من قلبي ـ بودودة مات ـ فوارة الظما ـ برق الليل .

وما ان اخذت اطالع هذه الكتب حتى شعرت بأن هذه النهضة الوليدة لها ما بعدها وان هذه الكتب وان تفاوتت في الجودة الا انها تتفق في شيء واحد هو تصوير مجتمع الشمال الافريقي باسلوب عربي رشيق تخلص او كاد من آثار الثقافة الفرنسية .

ومجموعة « الاشعة السبعة » التي رايت ان ابدا بعرضها في هذا المقال تضم احدى عشرة اقصوصة تستطيع ان تقطع بعد قراءتها ان مؤلفها ـ الاستاذ عبد الحميد بن هدوقه ـ ان لم يكن جزائري الاصل والمولد فهو على الاقل قد قضى شطرا كبيرا من حياته بين ربوع هذه الارض الطيبة التي شهدت في السنوات الاخيرة اعنف واشرف معركة في سبيل الحرية والاستقلال .

ففي قصة المسافر » وهي اولى قصص المجموعة ـ يروي المؤلف على لسان البطل قصة لقائه الاول مع خطيبته التي اختارتها له والدته شريكة لحياته ودعتها لقضاء ايام عيد الاضحى مع الاسرة التي تقطن على سفح جبل «اولاد ثابر » الذي يقع غرب برج بوعريج بالجزائر ـ وفي ليلة العيد يخرج الفتى والفتاة في جولة حول الدار ويصف لك المؤلف جو القرية والشعور العام في تلك الليلة باسلوب شاعري لايخلو من نبرة حزن (كانت الشمس تلفظ آخر اشعتها على جبال «اولاد ثابر» وكانت السماء صافية كمرآة العذراء ، وكان الفصل صيفا . . ولكن الجو كان جو شتاء وكانت الليلة ليلة عيد ولكن البيوت كانت خاوية من آثاره خاوية من افراحه . كان نوع من الاطمئنان الحزين يسود القرية ولكن في قلب ذلك الاطمئنان كانت الثورة ثائرة فقد قرر سكان القرية ان يكون يوم العيد يوم اضراب لا عن شغل او اكل او احتفال بالعيد ولكن عن شيء آخر عرفه سكان قريتنا وحدهم .. كانت السلطة العسكرية الفرنسية فرضت في صيف تلك السنة الثانية للثورة على القرية ان يذهب يوميا جميع السكان الى قرية اخرى حيث المركز العسكري لمبايعة العلم الفرنسي اعرابا عن ولائهم وضج الاهالي من هذا الولاء المفروض فقرروا ان يكون العيد نهاية الولاء الاجباري وبدء العصيان الحر ..)

ويتجول الخطيبان قرب جدول رقراق وفجاة تسال الفتاة خطيبها .

ـ امسافر انت حقيقة ؟

ـ نعم مسافر .

ـ الى اين تذهب ؟

ـ لست ادري .

ـ كيف لاتدري هل هناك مسافر لايعرف الى اين هو مسافر ؟

ـ نعم هو انا .

ـ وانا .

ـ انت ساعود اليك متى عدت .

وتصمت الفتاة ثم تقول في اسى .

اخشى ان لاتجدني عندما تعود .

ويسالها الفتى في عجب .. لماذا ؟ فلا تحير جوابا وانما تنظر الى كرمة تين كثيفة الاوراق وتقول كم هي كبيرة هذه الكرمة ..

ويدور حديث حالم هامس بين الخطيبين عن شجرة الرمان وكرمة التين واغاني الساقية واغاني الجبال وخرير المياه وفجاة تمسك الخطيبة بزهرة من زهور الرمان وتقول في نبرة حزينة . ـ مسكينة هذه الزهرة ، لماذا يسقط زهر الرمان هكذا ؟

ـ ليثمر الباقي نوع من التضحية تعرفه الطبيعة ولا نعرفه .

وتعود لتسال ثانية .

ـ ولماذا لا يثمر الجميع ؟

ـ لان الريح قاسية .

وتلقى بسؤال اخير .

ـ هل صحيح ان ارواح المحبين تتلاقى بعد الموت ؟

ويصمت الفتى قليلا قبل ان يجيب .

ـ ذلك اقل ماينبغى ان يكون .

ويدوى فى السماء ازيز رهيب اسود يملأ النفوس ذعرا .. انه ازيز الطائرات الفرنسية وتلقى الطائرات حمولتها على القرية الآمنة المطمئنة ويرتفع لهب القنابل المحرقة من الدور والشجر عاليا الى السماء ويطغى على صوت القنابل وازيز الرصاص صوت يهتف . « امسافر انت .. هل صحيح ان الارواح تتلاقى بعد الموت ـ هل تخاف من الموت ... » ثم يغوص الفتى فى غيبوبة تشبه العدم وفى الصباح يجد نفسه فى مكان كثيف الاشجار لايبعد كثيرا عن القرية تقف بجواره ممرضة تابعة لجيش التحرير تضمد جروحه ولكنه لم يكن يفكر فى تلك الجروح وانما كان يفكر فى خطيبته وفى القرية وفى عيد الأضحى .

ويختم المؤلف القصة بهذه الكلمات « كانت جروحى بالغة ولكنها كانت تافهة كحياتى وكان المى شديدا ولكن لامعنى له كوجودى فقد ماتت خطيبتى .. جاءت لترانى قبل السفر وقد انمحت من الارض دارنا وقريتنا فلم اعد فى حاجة الى السفر اذ اصبحت مسافرا فى كل مكان ..) والذى يستلفت النظر فى هذه القصة ان المؤلف استطاع ان يعرض صورا من كفاح الشعب الجزائرى ضد الطغيان فى اطار شاعرى انسانى بعيد كل البعد عن العبارات الحماسية الخطابية وهى آفة كثير من القصص التى تصور البطولة وتمجد التضحية .

ففى القصة تصوير للكفاح الجماعى لاهالى القرية ضد الاستعمار الفرنسى الذى اتخذ مظهر عدم الاذعان للجيش المستعمر ورفض الولاء لعلم الدولة الباغية مما اثار ثائرة الفرنسيين واطاش صوابهم وحدا بهم الى ازالة القرية من الوجود .

وبجانب ذلك نستطيع ان نلمح من بين ثنايا الحوار الرقيق الهامس تحول الشباب الجزائرى فى السنة الثانية للثورة الى الانخراط فى سلك المجاهدين ... فالفتى لايستطيع ان يبقى بجانب خطيبته يستمتعان بالحياة الوادعة المطمئنة فى القرية الجميلة التى تحيط بها من كل جانب الخضرة والجداول والتلال ... انه سيسافر حتما الى اين .. انه لايدرى المكان .. ولكنه يدرى قطعا المهمة التى سيسافر من اجلها .. وهى الاشتراك فى معركة التحرير وهو سيعود الى فتاته عندما تنتهى المعركة بالنصر .. وفتاته تخشى الا يجدها عندما يعود .. فهى ايضا قد بيتت النية على الاسهام فى المعركة وقلبها يحدثها انها قد تقضى نحبها قبل يوم النصر . وكنت اود لو حذف المؤلف العبارة الاخيرة من القصة التى يفهم منها ان البطل سيظل مسافرا فى كل مكان بعد ان انمحت قريته من الوجود.. اذن لابقى لكلمة السفر مدلولها ومهابتها وروعتها . وقد أحسن المؤلف فى استعمال الرمز فزهر الرمان الذى يتساقط بعضه ليثمر البعض الآخر رمز على تساقط المجاهدين فى ميدان المعركة ليعيش الباقون احرارا كما وفق فى اختيار يوم عيد الاضحى وهو عيد التضحية موعدا لتنفيذ ماعقد عليه اهل القرية العزم من شق عصا الطاعة على الفرنسيين .

ولعل القارىء قد لاحظ مما اوردته من مقتطفات ان اسلوب المؤلف اسلوب عذب رقيق تتدفق عباراته فى سهولة ويسر وهو وان زخر فى كثير من المواقف بالوان من البيان والبديع الا انه ظل رغم ذلك بعيدا عن التعقيد وعن تصيد الالفاظ الغريبة المهجورة .

وقصة « الاشعة السبعة » التى اتخذ المؤلف من عنوانها عنوانا للمجموعة كلها تدور حول حياة شاب ولد وعاش ابكم اصم كانت له ام يعرفها فى اعماق نفسه ولكنه كان لا يراها كما يرى الفتيان امهاتهم وكان يختلف من وقت لآخر الى بركة قريبة مهجورة تدعى «بركة العذارى» كان يشاع ان عملاقا ايضا ذا قرون سبعة يختطف العرائس فى ليلة زفافهن اتخذ له سكنا فى قرارها ولم يكن يثنيه عن الاختلاف الى تلك البركة تحذير اهله ومعارفه له فقد كان اصم لايسمع مايقولون ..

وذات يوم والفتى يجلس على حافة البحيرة خطر له ان يلتقط حجرا ويلقيه فيها فارتسمت على سطحها سبع دوائر متلألئة لامعة مرتعشة كالزئبق فاحس الفتى بصوت بعيد عميق امتد من قرار البحيرة امتدادا حتى اتصل بقرار نفسه اتصالا رفيقا وشعر بنشوة تتدفق من اقاصى روحه فتسرى فى كيانه واحس بما كان يربض على قلبه وسمعه ولسانه

ينحل ويذوب ويتلاشى فى غمرة الصوت الهامس المنبعث من قرار البحيرة .

وتابع الفتى القاء الحجارة حتى كان الحجر السابع فراى رؤية عابرة كاغرب واجمل ماتكون الرؤى راى الدوائر المرتعشة تنبع من شمس ذات اشعة سبعة مستقرة فى اعماق البحيرة واعماق نفسه واعماق السماء وبعد ذلك عاد الى منزله واتى بدلو ماء واخذ يصبه على جوانب البحيرة سبع مرات واستمر يكرر ذلك اياما متتالية حتى كان اليوم السابع فاذا بشىء جديد يحدث ففى هذه المرة لم تفارقه الرؤية العابرة ، كان يرى الشمس ذات الاشعة السبعة مستقرة دائما فى اعماقه وكان الصوت الحنون الهامس الغامض يسكت بزوال آخر دائرة من وجه البحيرة .. فى هذه المرة لم يسكت بل بقى يجوب كيانه حتى كانه يزيح شيئا عن حلقه المسدود وكان واضحا فى هذه المرة فقد عرف الفتى مصدره وادرك معناه كان منطلقا من اعماق قلب امه الحنون التى فقدها فى احد الايام وكان يقول له انى عائدة .

ويقطع المؤلف سرد الاحداث ليعود الى الوراء قليلا وقت ان كان الفتى فى الثانية من عمره واخذته امه الى هذه البحيرة فى يوم قائظ شديد الحرارة ضاربة عرض الحائط باسطورة العملاق الذى يسكن البحيرة ويخطف العرائس . وانغمست الام فى البحيرة واخذت تسبح وطفلها يضحك ثم تصلبت عضلاتها فجاة وعبثا حاولت الخروج فغاصت فى الماء وصرخ ابنها وكانت صرخته آخر صوت خرج من فمه ..

ونترك ماضى الفتى وامه ونعيش معه فى حاضره فنراه يحث الخطى الى البحيرة كعادته واذا بسحابة من الطائرات تغطى السماء متجهة من الشمال الى الجنوب فامتلا بشعور غامض وجلس الى البحيرة ولاحظ على اديمها صورا سوداء فرفع راسه الى السماء فاذا به يرى سحابة من الغربان سالكةطريق سحابة الطائرات فاحزنه منظرها . واخذ فى رمى الحجر وعندما استعد لرمى الحجرة السابعة سقطت قنبلة من احدى الطائرات على البحيرة فتدفق الماء من بطنها الى السماء فى عنف وراى الفتى فى تلك الفمرة العارمة فتاة عذراء راسها شمس ذاتاشعة سبعة ارتفعت مع دفعات الماء الى السماء عاليا وراى نور تلك الشمس يغمر الارض والسماءفصاح بكل قواه « امى » .

وواضح ان هذه القصة تستمد اصولها من اساس اسطورى وهى لاتبعد فى جوهرها كثيرا عن الاساطير الشعبية القديمة التى سادت فترة من الزمن فى بلاد الشرق الاقصى .. ومع ذلك فقد افلح المؤلف فى صياغتها صياغة عصرية حديثة بل وافلح فى الربط بين الاسطورة وبين احدث اسلحة الدمار المستعملة فىالحرب وهى الطائرات ولم يتخل المؤلف عن الرمز كعادته فاتبع سحابة الطائرات سحابة من الغربان وهى رمز لما تجلبه الطائرات بحمولتها المدمرة من شؤم وفراق .

ومع ذلك فالقصة فى مجموعها من الممكن ان ترمز الى معنى انسانى ووطنى كبير لاادرى هلاستهدفه المؤلف ام غفل عنه .. ذلك هو صحوة الامة الجزائرية ... فعندما ازدادت ضربات المستعمر وبلغ الطغيان اشده فاض كاس الصبر كما فاضت مياه البحيرة وتفجرت ينابيع القوة فى الامة ونطق لسانها الذى كان معقودا السنوات الطوال كما نطق الفتى باسم امه بعد طول عى وصمت وكانت لغة الكلام هى اللغة التى يفهمها الطغاة فى كل مكان .. القتال ..

وهذه القصة التى كتبها مؤلفها فى ١٧ اغسطس ١٩٦١ لو تاخرت عن موعدها عاما واحدا لاكتمل معنى الرمز فى الاشعة السبعة « ذلك ان حرب التحرير الجزائرية كما هو معروف قد استمرت مايقرب من سبع سنوات .

وقصة منتصف النهار « تدور احداثها فى مدينة بنزرت وقت الاعتداء الفرنسى عليها « حميده » شاب تونسى متزوج من فرنسية « كاترين » ويبين من سياق القصة انه عاد الى منزله فوجده خرابا ولم يجد زوجته الفرنسية ووقر فى ذهنه انها هربت حتى لا يلحقها العار ان وجدها أبناء عمها فى دار تونسية .. ولكنالقصة تبدا هكذا من قمةالحدث:

(لن تعود الى هذا البيت ولن اسمح لها بالعودة اليه ، ساعيد بناءه من الاساس واجعل بابه شرقيا هى التى ارادت فى الماضى ان يكون الباب غربيا فى اتجاه البحر ولكن فى هذه المرة لن يتجه باب بيت أسكنه الى الغرب ..)

وهذا القرارالحاسم يمثل التحولالذى طرا على تفكير كثير من الشباب العربى فى شمال افريقيا بعد معركة بنزرت ... فقدان الثقة فى فرنسا والكفر

بصداقتها والتحول نحو الامة العربية فى المشرق . ويقول لنفسه .

ويستعيد حميده ذكرياته فيرى نفسه شابا رقيق الحال يهاجر الى فرنسا حيث يعمل سنوات فى مرسيليا وليون وباريس وغيرها من المدن الفرنسية ويعود الى تونس سنة ١٩٥٢ ليشارك فى تحرير وطنه وما ان تنتهى الثورة حتى يتخذ بنزرت مقرا له ويقيم فيها منزلا ويتزوج كاترين وما ان يصل به التفكير الى كاترين حتى يغلى الدم فى عروقه ويقول لنفسه :

(عدت من الغربة لاعيش غريبا .. باللغباوة لو تزوجت تونسية لوجدتها هنا ميتة .. ولكنت الآن ابكى عليها بكاء له معناه وله قيمته ولو كان مرا ولكننى عدت من الغربة لاعيش فى الغربة اليس الزواج بأجنبية غربة) .

ويتجول حميده بين الحطام وهو غاضب ثائر وعند الباب يتوقف فجاة ليرى معصما مخضبا بالدم تحت الردم معصم كاترين ، وكانت وقتها الساعة تدق الثانية عشرة منتصف النهار .. وليأذن لى السيد المؤلف ان اقول اننى عجبت اشد العجب للنهاية التى ارادها لقصته هذه ..

فهذه المجموعة القصصية تتسم بروح المقاومة ضد الفرنسيين فى الجزائر او تونس وكانت مقدمات القصة تتفق مع هذه الروح .. كراهية للمستعمر وندم على الزواج من اجنبية .. وعزم وتصميم على ان يعيد المواطن التونسى بناء حياته على اساس جديد الاتجاه الى ابناء عمومته فى المشرق وقطع الصلة بالدولة الباغية .. فجاءت الخاتمة وقلبت هذه المفاهيم راسا على عقب واظهرت الزوجة الفرنسية بمظهر الانسانة المظلومة التى قضت نحبها وهى فى رحاب المنزل ـ الذى ارتضته مثلها .

ولا ادرى هل اراد المؤلف بذلك ان يستدر عطف القارىء على الزوجات الاجنبيات ام انها الحبكة القصصية التى الحت عليه فى ابراز مفاجاة فى السطور الاخيرة للقصة ؟

ومن القصص التى تدور حول معركة بنزرت قصة «البطل» التى جاءت فى ختام المجموعة والبطل هنا جندى تونسى وقف فى عمارة قريبة من مقر الولاية فى بنزرت يدافع عن شرف امته والمدينة غارقة فى اللهب من اقصاها الى اقصاها ويصف المؤلف شعور الجندى وهو فى موقف الدفاع هذا باسلوب حماسى يستغرق معظم صفحات القصة . وفى اللحظات الاخيرة قبيل وقف اطلاق النار يشاهد الجندى فى النهج اسفله طفلا وشيخا وامراة يركضون وصرخات الفزع تجلجل فى افواههم وكان فى نهاية النهج احد جنود المظلات الفرنسيين يسدد مدفعه الرشاش نحو الهاربين فصوب الجندى التونسى بندقيته اليه وارداه قتيلا قبل ان يطلق النار من مدفعه .. ولكن البطل يسقط بدوره شهيدا برصاصة غدر وهو يهتف «الآن ان مت امت حرا» .

ويختم المؤلف قصته والمجموعة كلها بهذه الفقرة « هكذا كانت نهاية هذا البطل العظيم تحدثت عنه الصحف والاذاعات وشاهده عدد من مراسلى الاذاعات والصحافة الاجانب ولكن واحدا لم يعرف اسمه ولم يذكر من هو » .

من هو ؟ هل هو فى حاجة الى تعريف اكثر من هذا .. انه جندى انه تونسى حر انه بطل) وقد رايت ان اعرض هذه القصة من باب الامانة حتى يقف القارىء على مستويات الكتاب المختلفة فلولا شخصيات الطفل والشيخ والمراة التى ظهرت فجاة قبيل نهاية القصة وتضحية الجندى التونسى لانقاذهم من براثن جنود المظلات لما امكن القول ان قصة البطل « هذه تتضمن اى عنصر من عناصر او مقومات القصة بمفهومها الحديث فقد انزلق المؤلف فى ختام كتابه الى ما استطاع تجنبه فى قصصه الاولى وهو الاسلوب الخطابى الحماسى الذى يصلح للموضوعات الانشائية اكثر مما يصلح للقصة وقد طغى هذا الاسلوب على سياق القصة فجاءت فى مجموعها بمثابة « خطبة » او « تقرير » عن موقعة او معركة .. وكان المؤلف يستطيع بقليل من الجهد أن يبرز من خلال جو المعركة بعض المواقف والعلاقات الانسانية وينسج من هذه المواقف والعلاقات قصة وطنية جيدة الاسلوب متكاملة البناء . .

والكتاب فى مجموعه يعد ـ لاشك ـ خطوة هامة وعزيزة على الدرب الطويل درب القصة العربية الحديثة التى بزغ فجرها فى شمال افريقيا مع أزيز الرصاص وقصف المدافع واخذت تتوطد دعائمها مع مطلع الاستقلال .

فوزى عبد القادر الميلادى

شعرُ القلبِ عندَ فرحات

للأستاذ وديع فلسطين

من وراء الاوقيانوس المحيط ذاعت شهرة الياس فرحات بوصفه صناجة العرب . يجلجل بشعره فى الجليل من المواقف القومية ويضرب على أوتار قريضه نغمات النذير والتحذير ، فهو شاعر القوم ولسانهم الجهير فى مهجره القصى وموطنه الأم .

وارتسمت فى الاذهان صورة جد صارمة لهذا الاديب الشاعر المهجرى الكبير الذى انقبضت اسارير وجهه وارتفعت هامته فوق الناس، يعتلى أعواد المنابر فلا ينشدهم الا شعر الخطوب ولا يلقى فى اسماعهم الا شعر الساعة ، فهو ابن العروبة البكر ، ورسولها المجلى وصوتها المدوى فى الآفاق .

ولقد طالما حسبت الياس فرحات رجلا ذا جهامة وكدر ، اذا تكلم ففى رزانة ، واذا تغنى ففى حماسة، رجلا لا ينفعل الا للحرب ! ولا ينبعث الا الى الجهاد ، ولا ينطلق الا فى طريق الكر دون الفر ، رجلا بلاقلب ولا عاطفة ، يتجهم فى وجه الزمن ، وينصرف عن مجالس السمر ومنتدياته . فهو مشغول الذهن بهموم امته ، زاهد فى كل ليلى ولبنى وهند ودعد واترابهن .

بيد أن هذا التمثال المتصبب الجامد الملامح سرعان ما لان ، وهذا الوجه المكمد المربد ما لبث أن اشرق ، وهذه الرزانة « البروتوكولية » ما انفكت أن زايلته بعدما أنس الى حديثى المرسل معه ، فعرفت فيه ، وبالدهشتى ، شاعرا وجدانيا بارع اللفتات مرهف النبضات يترك لغة الخطابة الى لغة العشق والهوى ، ويقول شعرا يطويه دهرا فى « هند » ، هند التى ابهجت أيامه وحولتصحراءه الى واحة وجددت فكره وحسه ، هند ذات الملاحة والذكاء التى ذاب تدلها فيها وتعشقا لدنياها ، هند التى غناها لا قصيدة واحدة بل ديوانا براسه ما زال طى الكتمان .

وكان لا بد من استدراج الياس فرحات ليزيل الحجب الكثيفة التى طالما لفت قلبه ، لنرى الشاعر على حقيقته فى انسانيته وضعفه بعد أن رأيناه فى عنجهيته وجبروته ، ولنعرف من اقاصيص قلبه ما ترسبت عليه أتربة الذكريات فكادت تمحوها وتطمرها ، ولنتأمل حظ الشاعر من التوفيق فى شعر القلب بعدما عرفنا حظه من الامتياز فى شعر الخطوب والنوب والحماسة .

وكان ان تلقيت نماذج من هذا الشعر الراقص المطرب الذى فاضت به عاطفة فرحات فى زمان الصبا ، فصفى به حسابه مع تجارب الشباب ، وسجل فى خطراته اشواق قلبه وأعراس عاطفته ومباهج ايامه .

فمن قصيدة له عنوانها « الشيب كذاب » قوله :

يا هند يا بهجة أيامى   يا كوثر الحب
يا نفحة من غوطة الشام   هبت على قلبى
يا جنة يسرى مع السارى   من زهرها عطر
لونت بالآمال افكارى   فاخضوضر القفر
حولت صحرائى الى واحه   وارقة الظل
أطيارها بالشعر صداحه   سكرى من الطل
جددت تفكيرى واحساسى   والروح والجسم
حتى لأمشى رافعا رأسى   للنجم أو أسمى
فى مهجتى نار وفى قلبى   حب يضاهيها
ما قيمة الاعوام للصب   ما شأنه فيها ؟
ما فى هيامى فيك من عيب   ضل الألى عابوا
قد قدروا سنى على شيبى   والشيب كذاب

ومن قصيدة نظمها فى عينى « هند » قوله :

لعينيك ما ألقى من الهم والأسى
وسيرى على شوك ونومى على جمر
ويفديك قلب مستهام ومهجة
يذيبهما حر الصبابة فى صدرى
تظلين فى عينى أندى من الندى
وان كنت بعض الوقت أقسى من الصخر
ألا فاصنعى بى ما تشائين اننى
وهبتك يا هند البقية من عمرى

ونام الشاعر ليالى مسهدة طوالا ، وليل العاشقين طويل ، فخاطب هندا قائلا :

يا هند هذا الليل طال على الذى
اقصته كف البين عن ناديك
نام الجميع ولم أزل متقلبا
فوق الفراش جوى أفكر فيك

والله لا أبغي الرقـــاد تنعمـــا
او راحة للخـــافق المنهـــوك
لكن عساي أرى خيالك في الكرى
وعسـاي أسـمع لفظـة من فيك

ومن قصيدة طويلة اطلق عليهـا عنوان « شريط سينمائي » قال :

يا هنـد يا قيثـارة الحـب
يا أقرب النـاس الى قلبي
يا بسـمة في ثغر نيسـان
يهـدي سـناها كل حيران
يا قطـرة الطل على الورد
يلمحها الســاري فيستهدي
واحيرتي ماذا أسـميك
كل المـلاحات التقت فيـك

***

الليـلة القمـراء والفجـر
والواحة الخضراء والنهـر
والبلبـل الصـداح والطل
والنرجس الفواح والفـل
والفن من شـعر والحـان
والروض في عطـر والوان
ما حار مثـل شـاعر صب
في وصـف ما أبدعه الحب

ومن قصيدة ملحمية عنوانهـا « حديث شبابي » قال :

سـقى الله أيام الشـباب فانهـا
اذا ذكرت أعمـارنا كانت العمرا
عرفنا بهـا لب الحيـاة ولم نعش
الى يومنا الا لـكي نعرف القشرا
يعود ربيع الدهر في العـام مرة
ولـكن ربيعي لن يعود وقد مرا

الى ان يقول :

تمنيـــت أيام الشـــباب لانني
تذكرت هندا والبشاشة والطهرا
ولو رجعت يا هنـد دونك عفتها
واشبعتها شتما واوسعتها هجرا
فان شـبابا لسـت فيـه رفيقة
لصبك أحلى منه شيخوخة عسرى

على أن العاشق لم يكن ممهد السبيل الى أثيرة قلبه ولا الى غازيات لبه · فشانه في هـذا شـان المحبين جميعا ، يذوقون ألوان الجوى وصنوف الحرقة ، ومع هذا يغلون في العشق وينفلتون مع تياره الجارف مستعذبين في سـبيله كل صعب · وهـذا الياس فرحات ، لا تستثنيه الحياة من ناموسها في الشقاء، فحتم عليه أن يركب متون المخاطر ليبلغ مأرب قلبه ومرسى عاطفته · وقد أجاد الشاعر تصوير شقوته، حين قال في احدى ترانيمه :

الحـب ، يا ويـلي من الحـب
كم فيه من مستسهل صعب
ســاعاتنـا الزهـراء يا هنـد
مرت ولم نشـف الجوى بعـد
لم نفرغ الـكأس التي رحنـا
نمتصـها مذ بالهـوى بحـنا
هذا لهيب الشوق في صدري
ما زال يشـــتد ويستشري
لي فيـــك آلام وآمــــال
ان الهـوى العذري قتـال
آليت أن اكتم أوجـاعي
حتى ولـو فاجـاك النـاعي
أشـقى وما ألتمس السـعدا
كي لا تقـولي : أخلف الوعدا

ثم ان الشاعر المستهام لا يريد أن يلقي السـلاح في معركته الازلية مع حواء ، فالحرب سجال ، والقتلى كثيرون ، ولكن عاطفته أقوى من المخاطر ، وسلاحه أمضى من أن يوسده القراب · وما جنون الحب بمنفر من الحب ، وكل الشعراء مجانين ليلى وأخواتها ولا لوم عليهم ولاتثريب · وهذا الياس فرحات يقول في قصيدة عنوانها « أنت مجنون » :

أيذنب صب مدنف حيـل بينـه
وبين التي يهوى اذا قلبه جنـا ؟
ورثنا تباريح الهوى عن جدودنا
فما بيننا والقيـد لا ينثني عنـا
معـارك حب بوشرت منـذ آدم
فلا نحن ألقينا السـلاح ولا هنا
واني وهندا شأننـا شـان غيرنا
ينفـذ كل ما له جنســه سنـا
فتعشق مني الشعر والخلق والحجى
وأعشق منها الحسن والفهم والفنا

فماذا رأت غير الصبابة والوفا
لنزعم هنـد أن صـاحبها جنا ؟
وماذا رأت منا ـ رعى الله عهدها
سوى الحب والاخلاص؟ ماذا رأت منا

ويحتمل الشاعر المدنف تباريح الهوى حتى آخر الشوط ، وهو فى هذا صادق مع سليقته مؤتم بسنة الحياة، راض بانفطار المهجة وتوزع العقل والصواب. بل انه لينفعل فى غيظ وحنق حين تتكسر سهامه فلا تصيب هدفا ولا تستقر بمقتل . وما أتعسه فى مغامرته التى أبدع تصـويرها بعنـوان « أأنت حبيبتى » فقال :

ترى من فى الانـــام يزيل ذلى
بحب مليحـة جهلت محـلى ؟
تطل عـلى ضـحوة كل يوم
بقـــامة بانة وعبـير فل
وتذهب بى الى احدى الضواحى
ولا أرب لهـا غـير التسـلى
رضـيت بكل أمر ترتضـيه
فأغراها رضـاى بشـد غلى
الـور عـلى من المنى لأنى
أقصر فى الهـوى وأنا المجـلى
فذل العبـد فى قلبى مقيم
وفى نفسى اباء المستقل

***

فياشمس الغرام أضاع رشدى
ظلام الروح فى البرد المعـل
اذا لم يأت منك سنى ودفء
فما يجـدى المعـذب أن تطل
فؤادى حار فيك وحار فكرى
وحارت مقلتـاى وحـار كلى
سـألتك قبلة فمنحت صـدا
وملـت على بالوعـظ الممـل
كؤوس الحب من خمـر وخـل
أمامى فى كؤوسـك غير خـل
يولى العمـر فى أخـذ ورد
فوالهفى على العمـر المولى !

وهكذا وهكذا تدور على اليـاس فرحات كاس الهوى فلا يعافها ولا يستعلى عليها ، وانما هو يقبل عليهـا كشاعر بشر ، تتأجج فى صدره عواطف الشباب ، وتعتلج فى فؤاده مشاعر الحب وتذوب نفسه حرقة فى بوتقـة الحنين . ولئن كان قد طوى هـذا الشعر فى أوانه ، يوم كان الشـباب مشتعلا والعاطفة فوارة والقلب دفاق بالاشواق ، فلا حرج عليه اذا طالع به الناس بعـد أن قطع السبعين من عمره المـديد ، واذا بعث هذا الشعر الغنى بحلاوة موسيقاه ، المترف بأوصافه الجميلة ، العذب بمعانيه القريبة المآتى ، السخى فى صوره الطبيعية الخلابة ؛ الصـادق فى التعبير ، السـاذج فى الفرحة . انه شعر منبعث من قلب انسانى رقيق تعـاورته النوب وتناوشته التجارب فاهتز كما تهتز القلوب الشديدة الحس ، وعاش فى فرح ومرح آنا وفى حـزن وترح آنا ، فلا هو بالحب كافر ؛ ولا الحب مدبر عنه .

ولا باس علينا ، وقد كشفنا هذه الناحية المجهولة من تراث فرحات الشـعرى ، أن نحشره فى زمـرة العشاق وفى منتدى المجانين . فعـالمه جنة للغرام ـ على حد قوله ـ وحرام أن ننكر عليه هذا الملك . أفليس هو القائل :

عالمى جنـة اذا سرت فيهـا
صار فيها التراب مسكا وندا
جنـة للغـرام تنشـد فيهـا
الطـير لحن الخلود خطفـا ومدا
تكتسى أرضـها اذا هـزت
الريح الأماليد ياسمينا وودا
والأزاهير تكتسب الطل لونا
مستحيا من لونهـا مستمدا
فهـو در وعسـجد وعقيـق
فوقهـا ، آه لـو تنظم عقـدا
لتقـدمت ، غير وان ، الى من
هى أسمى منه وأسنى وأندى
ربة الحسن والذكاء ومن تقطر
ألفاظها رحيقـا وشـهدا
قائلا هذه نجوم من الشمس
الى أختهـا الصـغيرة تهـدى
فاقبليها فهى التى صاغها الفجر
نجـاءت بلطفهـا لك تدا
واعذرينى مقصرا فأنـا أملك
قلبـا ولست أملك نقـدا

وديع فلسطين

أنا أحيا..

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

أنا أحيا حينما أشعر أني ... مثل عصفور يغني فوق غصن
أو على شط غدير لم يزل ... بين همس ، وغناء ، وتثن
ماؤه ينساب نورا صافيا ... ينهل الاشراق من جنات عدن
ماؤه ينساب لحنا شاديا ... كانسياب الفجر في الروض الأغن
انه يشدو بقلب هانيء ... لم يلق يأسا ، ولم يشعر بحزن
ليله قرب وحب دافيء ... والنهار الطلق شوق وتمن
ان أردت الكون روضا يانعا ... فاحي في الدنيا كعصفور يغني

***

واذا أبصرت طفلا باكيا ... بدموع أو بلا دمع أراه
ينزوي متكمشا في ذلة ... بينما ينساب في اللهو سواه
وأراه عاريا في ثوبه ... وثياب الفقر لا تكسو العراه
فتمثلت وقد أبصرته ... صورة ابني لو طوى الموت أباه
فبكى قلبي لمرآه كما ... رق للأسوان من ذاق أساه
وطويت البؤس عنه مثلما ... ينطوي الليل اذا الفجر طواه
حينما أفعل هذا مشفقا ... أن يرى الحزن فؤادي وأراه
فأنا أحيا لأني شاعر ... يذرف الدمع لآلام الحياه

***

واذا أبصرت طفلا ضاحكا ... بين أتراب كأمثال البدور
يرتوي من عالم عذب الرؤى ... رائع البهجة ، نشوان السرور
قلبه عطر ونور ، مثلما ... صيغت الأزهار من عطر ونور
لو تراه قلت عصفور الربا ... يسكب الألحان في قلب الزهور
أو فراش الحقل يمضي طائرا ... ومع النور اذا دار يدور
فتمثلت وقد أبصرته ... صورة ابني وهو فياض الحبور
واذا قلبي يغني بلبلا ... شاقه للشدو تغريد الطيور
فأنا أحيا لأني شاعر ... ينتشي من بسمة الطفل الصغير

***

واذا أبصرت شعبا ثائرا ... مثل شعبي في عمان والجزائر
يبتغي حرية من أجلها ... يركب الأهوال في أرض المخاطر
ويرى العزم سلاحا باترا ... حينما يلقى سلاحا غير باتر
فتقدمت اليه ثائرا ... مثله في وجه تجار المجازر
ومضينا في كفاح رائع ... يصمد الأحرار فيه والحرائر
لم أفكر في مصيري ، لم أره ... غير أن تهتف بالنصر البشائر
حينما أفعل هذا فارى ... أرضنا الحرة تكسوها المفاخر
فأنا أحيا لأني ثائر ... يستمد العون منه كل ثائر

وإذا كنت وحيدا في المساء   ورؤى الظلماء تسري في الفضاء
وسكون الليل شعر رائع   مستتر في قلوب الشعراء
كل ما حولي ظلام ، موجة   سابح ما بين غيب وخفاء
فإذا نور بقلبي ينجلي   مثلما تشرق أنوار السماء
هو فيض من ضياء الله ، ثم   نهلت منه قلوب الانبياء
وارتوى العشاق منه مثلما   يرتوى من منهل طير ظماء
حينما يبلغ قلبي ما اشتهى   من وصول ، وامتزاج وفناء
فأنا أحيا لأني مؤمن   ينهل الاشراق من نبع الضياء

***

وإذا رانت على قلبي الذنوب   مثلما رانت على عمري الخطوب
وذنوبي ليس يدري سرها   ومداها غير علام الغيوب
فرأيت القلب يبكي ندما   وهو في أدمعه الحرى يذوب
يرفع التوبة من أعماقه   للذي يعلم أسرار القلوب
ورأيت الروح يمضي عابرا   ظلمة الليل الى الفجر القريب
علّه يلقي لدى أنواره   عشه الحاني ، ومثواه الحبيب
حينما يذرف قلبي دمعه   ويعود الروح للنور الرطيب
فأنا أحيا لأني مذنب   يذكر الله فيبكي ويتوب

***

هكذا أحيا على أرض البشر   كالربيع السمح فياض الثمر
قلبي الحاني ـ وما أكرمه   يبذر الحب ، فيجني مابذر
انا لا أحيا لنفسي وحدها   ان يعش غيري اناني الأثر
لو رنا البدر الى دنياه ما   أشرق البدر على دنيا البشر
أترى الزهرة في صحرائها   تقطع العمر هباء وهدر
انها تحيا لطير يرتجي   عندها الراحة من طول السفر
ونسيم منحته عطرها   فمضى يمنحه أني عبر
ولقد تظما في صحرائها   فيوافيها ويرويها المطر
فإذا غاب واضناها الصدى   فمن الأنداء ما يروي الزهر
حينما أحيا كبدر ساطع   سلسل النور الينا فانحدر
او كأزهار الروابي ، عطرها   ان نأت عنا ، قريب منتظر
فأنا أحيا لأني موجة   عانقت في البحر موجات اخر

ابراهيم محمد نجا

الفنّ في مجتمع العراق العشائري

للدكتور مصطفى حسنين

(١)

الفن تعبير وانتاج ، ولا يمكن الحكم في يسر على الفن من حيث قيمته الا بعد ان يتم انتاجه في مادة . ولست اريد ان ادخل في مناقشة المعايير التي يوزن بها الفن ، ولكن كل ما اريد اجلاءه هو ان الفن — اي فن — لا يمكن الا ان يكون تعبيرا عن انفعال معين ، وان يتخذ هذا التعبير درجة من الصدق ، وان يوضع التعبير ويتجلى في قالب مادي محسوس ينقل به الفنان انفعاله الى حواس الناس المختلفة فيدركونه عن طريق الأذن في موسيقى او كلمة مسموعة ، او عن طريق العين في قالب كلمات مسطورة تنقل انفعالا في شكل شعر او نثر من قصة او مسرحية او في قالبحركة جسدية معبرة كالرقص او في قالب مادة منحوتة — ايا كانت هذه المادة — الى آخر الوان الفنون المختلفة . ولا يمكن ان يخلو مجتمع بشري — لأفراده انفعالاتومشاعر مختلفة — من الفن اي من وسائل التعبير عن هذه الانفعالات والمشاعر .

والمجتمع العشائري بالعراق : في البادية والريف — كاي مجتمع آخر — فيه من وسائل التعبير الوان فنية — اذن يجب ان يكون له نصيب من دراستنا . واذا كنت قد عرفت الفن بأنه تعبير من انفعال ، وانه — بعد ذلك انتاج محسوس ينقل هذا التعبير ، فلابد اذن من وسيلة او اداة يتخذها الفنان ليعبر بها ، وتكون هذه الأداة هي واسطته في التعبير عن انفعالاته ونقلها الى احساسات الآخرين والواقع ان دراسة الفن في مجتمع ما هي الا دراسة لهذه الوسائط والأدوات التي يتخذها الفنانون في هذا المجتمع للتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم . فما هي اذن ادوات الفنان في العشيرة ووسائله في التعبير ؟ هذا هو ما اريد تحديده هنا ، والذي لاريب فيه ان الذي يحدد ادوات الفنان هي بيئته : منطبيعة ونانس . والناس ، اي اولئكم الذين ينقل اليهم الفنان مشاعره ، عنصر هام يجب ان يراعي اذا ما اراد الفنان ان يأمن مشاركتهم له ، فمن العبث ان يكتب الفنان شعرا او قصة او مسرحية — مثلا — ويدفعها لأشخاص لا يعرفون القراءة من حوله كي يفهموه ففي المجتمع الذي تسود فيه الأمية لا تكون للكلمة المكتوبة من اثر في مشاعر الناس الا اذا تليت عليهم ووصلت الى اسماعهم ، وفهموها ، كي ينفعلوا بها . ولكي يفهموها يجب ان يستعمل الشاعر او القصاص كلمات معروفة في مجتمع الناس الذين ينتج فنه بينهم والا تعطلت وسيلة النقل الى مشاعرهم ، وانعدم هدف الفن الرئيسي في تحريك مشاعرهم بانفعاله .

ولما كانت الأمية متفشية في المجتمع العشائري في العراق بصورة كبيرة ، حتى تكاد تكون هي الأصل والاستثناء هو معرفة القراءة والكتابة فحسب ، فان الكلمة المقروءة اذن لا مكان لها كاداة للفنون عند عشائر العراق ، وانما تعد الكلمة المسموعة هي اداة الفن الرئيسية هناك وهذه الكلمة المسموعة — مشتقة دائما من ذلك المجتمع البسيط الذي يعيش فيه رجل العشيرة في العراق .

ومعارف البدوي — تلك المعارف التي يعبر عنها فنان العشيرة — محدودة بالبيئة التي يعيش فيها كما قلنا ، ولهذا كان من الضروري هنا انتحدد معارفه التي يشتق منها صياغاته الفنية . والبدوي يميل الى معرفة الأمور حوله عن طريق الحس ، فلا يميل الى التخيلات والتصورات والاوهام ، ومن ثم فان مجموع معارفه تدور حول المحسوسات حوله ، من معالم جغرافية ، ومن اسماء النجوم والشمس واوجه القمر وللنجوم اهمية كبرى في حياته ، اذ يهتدي بها خلال ظعنه في الصحراء ، ومن اوجه القمر يعرف مدى تقدم الأيام ، وان جهل في اكثر الأحيان تاريخ اليوم على التحديد ، كما انه يعرف من مكان الشمس في السماء الوقت خلال النهار ، وان كانت معرفته تلك ايضا غير دقيقة ، كما انه يتعلم اسماء السحب ويعرف ايضا اسماء الرياح ومن اين تأتي ، ومجموع ما ينبت في باديته من اعشاب ونباتات وما يعيش في ربوعها من حيوانات ، وينبغ بعضهم في تقفي آثار اقدام الناس والحيوانات في الرمال ، واما المقاييس والمكاييل فلا تهم البدوي العادي كثيرا ، واما مسافات الطريق فانه يحددها بالمعالم التي يمضي

خلالها عبره ، أو بعدد صلواته التي يؤديها خلاله ، واما الابعاد فهي على مرمى الحجارة او العصا .

والبدوي يميل الى الرمز ، وهو دائما يهدف الى اختزاعه ، فاذا ما استعان بنموذج انشأ شكلا جديدا شكلا مجردا بعيدا عن الشكل البشرى ، لا يخضع للقوانين المألوفة ، ولعل هذا التفسير يغنينا عن فهم معنى تلك الرسوم التي يبتدعها البدوى حينما يبتكر صورا من « الوسم » التي يسم بها حيواناته ، كما يرسمها على الآبار والاحجار التي يمتلكها . وقد لاحظ « هنرى فيلد » ان الرسوم التي خططها العرب فى الصحراء العربية كانت خطوطا بغير هدف فى رايه كما لاحظ ان الرسوم التي جمعها تبدو احيانا رسوما لحيوانات او اشياء موجودة .

ويقرر ان الفن البدوى ليس فنا مصورا للانسان وهو يناقض الفكرة الفنية التي اخذت بها ثقافات البيوت ، فلا يقتبس وحداته الفنية الا عن الحيوان . ونلاحظ ايضا انه فى تخطيطه لا يلتزم قواعد زخرفية معينة ، وان كنا نراه يلتزمها بشكل اولى عندما يرسم الوشم على الايدى او الاقدام .

ولست اظن ان البدوى — لم يجعل من القاعدة المعروفة فى الفن الاسلامى — فى تحريم رسم اشكال آدمية كاملة — قاعدة احترزها وهو يخطط رسومه ، ولكن رسومه وان بدت عشوائية — الا انها كرسوم الأطفال فى المراحل الأولى تحمل معانى ورموزا يرونها بعين الخيال ماثلة امامهم ، وهو يعنى الرمز حتى ولو رسم شكلا مفهوما . وقد ضرب هنرى فيلد مثلا بذلك فكرة رسم اليد التي نراهم يرسمونها احيانا فان رسمها يصدر عن فكرة « الخمسة » او « ضد الحسد » او اية وظيفة اخرى لليد ، ويمكن ان تتحول هذه العلامات بعد ذلك الى معان اخرى كالاشارة الى الاعداء او الحرب ومن العلامات التي رسمها رجل العشيرة فى العراق ، وكان لها معناها الرمزى الهام عنده ، ما خططه على الأعلام التي استعملوها . فهى شارة على العشيرة وتدل عليها . فمثلا عشائر آل زياد فى لواء الديوانية اعلامهم بيضاء او فى الوسط هلال احمر او كوكب احمر ، او هلال وفى وسط الهلال كوكب او كوكبان ، واعلام آل فتلة معظمها احمر مثبت فى وسطه هلال منعطف الى الامام ومحتضن كوكبا مسبعا . وهذه الاعلام بشتى انواعها غير محرمة على بقية العشائر وهذا يزيل اهمية الرمز فى الرسم الموجود فى العلم بلا ريب . ولعل مرد هذا هو انه لا يكاد يكون هناك تلازم اقليمى بين العشيرة والعلم ، مما يتولد منه معنى الوطنية المرتبطة بفكرة الاعلام عند الدول .

ولم يكن للشعوب البدوية بطبيعة الحال فن معمارى ، فلم يكن الفنان البدوى يواجه مشكلة اقامة مسكن مستقر متين البنيان ، وكانت الحياة تضطره الى الانتقال من مكان الى آخر بخفة وبغير مشقة ، فكان لا يستطيع ان يحمل من الامتعة ما يرهقه وما يصعب نقله . والملاحظ ان فن المعمار لا وجود له تقريبا عند عشائر العراق — ليس فى البادية فحسب — بل فى الريف أيضا .

كما نلاحظ ان الفنان البدوى لا يحاول ان يفرض ارادته او قانونه الانسانى على المادة التي يستخدمها بل هو على النقيض يحاول فى غاية التواضع ان يزيح الستار من روح المادة وعن القانون الكامن فى هذه المادة بطبيعتها ، فهو يطلق هذه القوى الكامنة ويعمل على ابراز هذه القوانين الخفية ، فيظل الخشب ان استعمل الخشب — بعد استعماله خشبا او يصبح اكثر خشبا مما كان . وربما انكرت العين التي تعودت رؤية آثار الثقافات الرفيعة — لأول وهلة — هذه الأشياء ذات المظهر البسيط المعتدل ، اذ لا تجد تلك اللمسة الانسانية . غير ان بصيرة اكثر نفاذا واقوى حساسية لابد ان تدرك هذه الصفة القوية التي يتميز بها كل فن صحيح اصيل . وحينئذ ترى فنا ليس له اسلوبه الجمالى فحسب بل له ايضا اسطوريته بكل معنى الكلمة .

والواقع : ان كل ما استطاع البدوى ، او رجل العشيرة بصورة عامة ، التعبير عنه من معنى — باستعمال يده — هى تلك الخطوط الرمزية التي رسمها عندما صور خطط الوسم او الوشم . واما الكلمة ، تلك الاداة التي تعد فى مقدمة ادوات التعبير فى المجتمعات المتحضرة اليوم والتي تعلمت القراءة والكتابة ، فليس لها مكان على الاطلاق فى مجتمع العشائر العراقية التي تسوده الامية كما قلنا ، ولكن الكلمة المسموعة لها مكانها الأكبر عندهم ،

فالأذن حاسة هامة ، والكلمة المسموعة فى فنونهم تنغم ، وتوزن ، فتنتهى الى صياغة تراث ضخم من الشعر بالوانه المختلفة كما سنرى . ولهذا النوع من الفنون خطره واهميته فى البادية والريف العراقى على السواء . كما انهم يلجاون ايضا الى الموسيقى وحدها كاداة للطرب ، او مصحوبة بالكلمات المنغمة تبتشا الغناء .

ولغة البدو العامية الحاضرة يمكن ان تعتبر لهجة خاصة بهم ، يتفاهمون بها ، والفاظها بوجه عام عربية فصيحة مع تصحيف او تحريف فيها . غير ان فيها الفاظا لا يعرف تاريخ استعمالها . والذى لا ريب فيه هو ان لهجة رجل العشيرة فى العراق قد تاثرت تاثرا كبيرا بعاملين :

اولهما : عامل القرب او البعد من المدينة والحضر ، او الاختلاط وعدم الاختلاط بسكان المدن ، وسكان المدن خليط من اجناس مختلفة ، وعامتهم ابعد عن الفصحى من عامة البدو ، فياخذون منهم الفاظهم الغريبة ، وتظل لغة الضاربين فى الصحراء انقى من لغة الذين يتركونها ويتصلون بالمدينة والحضر .

والعامل الثانى : وهو مدى ما اتاحه تاريخ العشيرة من الاختلاط بغير العرب من الاجانب الذين دخلوا العراق . ويذكر الاستاذ محمد رضا الشبيبى عضو مجمع اللغة العربية فى العراق ان اشياء كثيرة قد تغيرت فى عصر الانقلاب المغولى . وكان نصيب لغة العراقيين من التغير والتاثر فى الانقلاب المذكور نصيبا موفورا ، فقد تسرب اليها كثير من المفردات والمركبات والمواد والاساليب الانشائية الفارسية والتركية والمغولية ، بالاضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والسريانية ، وغيرها من اللغات ، وقد ولدت فى هذا العصر لهجة جديدة او غريبة فى العراق ، وهى اللهجة الشائعة الآن على السنة العراقيين او شبيهة بها .

ويقول : « **ومن ذلك يستفاد ان لهجتنا الشائعة اليوم ، او لهجة جمهور العراقيين المحلية الآن ، كانت دائرة على السنة اسلافهم القدماء نحوا من سبعمائة سنة » وقد قسم اللهجة العراقية الى اقسام :**

(١) الفاظ دخيلة من اللهجات الفارسية والمغولية والتركية ، التى عرفت فى العراق بعد استيلاء المغول على البلاد .

(٢) الفاظ عربية مولدة ، استعملت فى موارد لم يرد عن العرب استعمالهم لها فيها .

والعشائر العراقية جزء كبير من جمهور العراقيين هم قد تاثروا ولا ريب بكل ما اثر فى اللهجة العراقية من عوامل اجنبية دخيلة ، ونلاحظ ان هذا الاثر مستمر حتى اليوم ، وقد ادخل الاحتلال التركى للعراق كلمات تركية عديدة الى اللغة المستعملة فى العراق . ويتفاوت التاثير الاجنبى حسب اختلاط العشائر باجانب لهم لغاتهم غير العربية ، فان العشائر القريبة من حدود تركيا كعشائر شمر ، تجد فى لغتهم كلمات ذات اصل تركى اكثر من غيرها من العشائر ، والعشائر القريبة من حدود ايران كالمزة مثلا ، تجد فى لغتهم كلمات فارسية اكثر من غيرهم كما أن كلمات انجليزية كثيرة قد دخلت لغة العشائر ، وخصوصا تلك التى تعيش بالقرب من مناطق كان يسكنها الانجليز كاكثر العشائر الساكنة بالقرب من بغداد او الموصل او البصرة . ورجل العشيرة اذا ما اضطر الى استعمال كلمة اجنبية فى محاولته تفهم الحياة الجديدة من حوله ياخذ الكلمات الافرنجية مثلا ويصوغها صياغة عربية او شبه عربية ، وتصبح لغته بالتدريج فى حياته الجديدة مزيجا غريبا من الكلمات العربية والكلمات الانجليزية ، فهو يقول : الكالاس (بالجيم الفارسية) قاصدا الكوب ، والبايسكل ، قاصدا الدراجة ... الخ .. كما ان العشائر التى تجاور الاكراد فى العراق وتختلط بهم ، كثيرا ما يستعملون كلمات كردية كثيرة ، بل ان منهم من يتكلم الكردية اصلا ويتقنها اكثر مما يتقن العربية على رغم اصله العربى .

وسوف اتناول بعد ذلك بالبحث اهم فنون العشائر العراقية وهى الشعر والغناء والرقص ..

الدكتور مصطفى محمد حسنين

شهد وعلقم

بقلم

الأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدع

في عودة الرسالة الزهراء استعادة الادب الرفيع البعيد عن ضحولة الفكر وسوقية الاداء ، وسذاجة السطحية ، وركة التعبير •

نقول هذا في غير تحرج ، لان هناك من لاقدرة لهم على الصعود الى مصعدها ، ويدعون انها متمسكة «بالقديم»والحياة قد تغيرت، حاسبين أن «اللغة» لاتحيا الا في نطاق الارتجال في التعبير ، والتصوير والضآلة القميئة في تفاهة المحصول اللغوى حتى تغلبت لغة «الصحافة» على لغة الادب •

هذه السطور تنفيس عما في النفس وقد ضاقت بالادعاء، وتغيظت بدعوى «الأستذة» مندون مقوماتها

والنقد الادبي لم يعد ذا اصالة في التناول ، والفهم والالمام ، والاصالة التي نعنيها هي الجامعة بين «سلامة الطبع» ، و «سعة المعرفة» •

لقد حمل الى البريد مختارات شعرية ونثرية في الادب ، والنقد ، والفكاهة ، والاجتماع من آثار أديب فلسطين الكبير المرحوم «ابراهيم الدباغ» ، وقد تفضل باهدائها الاديب الوفي الاستاذ «مصطفى الدباغ» قاضي محكمة استئناف القدس فرأيت ، تجاوبا لوفائه ، نشر هذه الكلمة الموجزة بعد قراءتي هذه المجموعة الجامعة بين « حلاوة » الشهد في العذوبة التعبيرية الشائقة وبين مرارة العلقم في قسوة التعريض المفرقة •

والاديب الذي «ادركته حرفة الادب» يكون مطويا على صخب الاحساس وضجيج الوجدان ، لأثرالحرمان أو سوء معاملة الزمان ، لكن أديبنا رجل يعبر عن مشاعره تعبيرا انبعاثيا أساسه «التجربة» وقوامه الانفعال الصادق ، ولقد جمع بين «نثره مضامين ما يجمع فكره ، وبين « شعر » ما يودع مكامن مشاعره فجاء صادقا ، مخلصا لا افتعال في أدائه ولا اصطناع بل جرى على طبعه ، وخير نتاج الاديب ما صور طبيعته ودل على أصالة أحاسيسه •

انى — في هذه العجالة — أشير الىبعض الاتجاهات «النقدية» التي اتجه اليها الاديب الكبير حتى تكون ذات دلالة على مدى فهم النقد الأدبي مع تفاوت الزمن ولعل أبرز مافيها «السرقات والنقد» ، و «الاغاني العربية في مصر» •

ولقد تقصدتالى هذين الموضوعين، لانهما يلمسان جوانب بعيدة في «ملاقاة الاحساس» ، وفي التعبيرعن «الوجدان» ، فالسرقة الشعرية قد تكون فضيلة اذا انفرد الشاعر بمعنى مبتكر ، او اداء موجز، او خيال بديع ، ولعل حادثة «الخاسر» مع استاذه «بشار» مالوفة معروفة حين أخذ معناه وقتله في بيته :

من راقب النـــاس مات هما
وفاز باللـــذة الجســور

وان اديبنا الكبير قد وضع في ميزانه شعر «حافظ ابراهيم» بعد أن عرض بالبارودي ونسباليه السرقة في قوله :

فياسعد حدثني بأخبار من مضى
فأنت «خبير» بالاحاديث • ياسعد

وقال : انه ماخوذ من بيت ابن المعتز القائل :

وحدثتني ياســعد عنها ، فزدتني
شجونا«فزدني» منحديثك ياسعد

وعلى مجهر النقد أرىأن الالفاظ المتماثلةوالتسمية «بسعد» والرغبة في الاستماع الى الحديث فداوهمت بالسرقة ، لكن المراد على خلاف الايراد ، فالبارودي يريد زيادة الاستماع لاكتساب «الخبرة» بمعرفة أخبار الماضين ، وابن المعتز يشتاق الى الحديث عن الحب لاستثارة الوجدان !

وشتان مابين الاتجاهين وان اختلف الهدف واتحد اللفظ !

وعلى هذا المقياس يسير السيد الناقد في مؤاخذة «حافظ ابراهيم» في عنف وشدة وصرامة ، فقال : انه اخذ بيت «البهاء زهير» :

على أن لي نفســا عـــلى عزيزة
وفي النـاس عشاق بغير نفوس

فقال حافظ :

هوينا فما هنا ، كما هان غيرنا
ولكننا ازددنا مع الحب سؤددا

لكنى أرى أن الاتجاه مختلف ، فان «البهاء» يقول: «انه غير متبذل فى غرامه» وان حافظا يقول : «ان فى غرامه زيادة مجده» ، هــــذه الزيادة تدل على عمق احساسه مع تحفظه على حفاظ كرامته ـ وهو معنى زائد ، فلا سرقة هناك ولعل حماسة السيد الناقد ـ فى صدر شبابه ـ هى التى دفعته الى انطلاقتــه وكلنا ذلك الرجل !

❋ ❋ ❋

ونعود الى «الاغانى العربية فى مصر» ، فالأغنية ـ فى اعتقادى ـ تصوير مبــاشر لطبيعة الشعب ، لهذا كان لها تقديرها فى التقويم ، ولا شك فى أن مقال السيد الناقد منشور منذ عهد بعيد (١٩٢٧) ، أعنى الفترة الانتقالية بعد نكسة ثورة ١٩١٩ ، وقد أوغل المحتل فى انكاره حق الشعب ، فنام على الضيم واستكان للهوان ، ولم يحفل بغــير التهافت على الشهوات النفسية ، فانعكست المشاعر على الاغانى، فكان فيها اللفظ المبتذل ، والمعنى المهين المهان ! وان أروع ماقال الرجل قولة تقال فى كل زمان ومكان من حيث يقول :

« يجب علينا أن نتخذ الموسيقى سلاحا نقضى به على جراثيم المفاسد الخلقية ونكون من الاغانى أداة تهذيب لتربية النفوس ، وتشريف العواطف واعلاء كلمــة الاخلاق على مفاسد المجتمع ·

وبهذا يريد الرجل أن يتجه الغناء اتجاها رفيعـا نحو تصوير نوازع النفس العالية باعلان المبادىء السنيمة القيمة المقومة ، والسمــو بالعواطف نحو الصلات الروحية البعيدة عن الاشتهاءات المــادية ، والجهر بالاخلاق لتربيــة النفوس على معانى الحق ، والخير ، والفضيلة ، وهى المعانى الثلاثة التى دعت اليها فلسفات الاديان كلها ·

لقد كان المغالون فى التبذل يظلمون الشعب حين ينسبون اليه كل ماهو نازل ولم يعلموا أن «التوجيه» أمثل فى الاعتلاء ، وان الاداء الغنــائى يتعمق فى النفوس بمطاولة الترديد ، ومعاودة الانشاد ، فالامر بيدهم من حيث يصوغون الالفــاظ ، وينســقون الانغام ·

وفى « شهد ، وعلقم » طرائف كثيرة دالة على نفس شاعرية مفطورة ، وروح لطيف شفيف يرسل اللمحة المتألقة ، واللمحة المليحة ، وبخاصة فى مقطعــاته الشعرية ، فينادى فلسطين سنة ١٩٢٨ قائلا :

نحن ياعيد ، والعلا لم تكن منـــ
ـــك بخير يرجى ، ولا أنت منــا
أمم الشرق قسمت فشعوب
تتلظى ، وأمــة ··· تتغنى
يافلســطين ! ، لا يروعك الهدم
فان البــلاد بالهــدم تبنى !

❋ ❋ ❋

والشطر الاخير من البيت الثالث مصور حقيقــة الفناء فى سبيل البناء !

ويقول فى تعبير مباشر عن الرزق :

لا تضق بالرزق صدرا   لاتذب حزنا عليه
رزقنا يسـعى الينـا   مثلما تسعى اليه !

❋ ❋ ❋

وتكرر بيتان لهما عنوانان «جهل ورشد» و «حيرة» فى ص ١٤٤ ، ص ١٤٦ ، ولعل التكرار من صنيع الاستاذ الجامع :

لسانى يقول ، ولا افعــل
وقلبى يريد ، ولا أعمــل
واعرف رشــدى ، ولا أهتدى
واعلم لـكننى ··· أجهــل

❋ ❋ ❋

وعلى هذا النسق تبدو تلك « المجموعة » الطريفة وفيها اشباع ، وامتاع ، وأنت ترى من جوامع الكلم قول الرجل :

❋ متى نام الضمير فى الافراد ماتت الذمم فى المجموع !
❋ الخاذل للحرية مخذول من العدالة الالهية !
❋ تدبير الامة فى يد اقطابها ، وتحريرها فى يد طلابها ، وتقرير مصيرها يجب أن يكون فى يد الشعب كله !

وهذه القولة عجيبة ، لانها قسمت « المسئوليــة الوطنية» ، وأرجعت تكييف حياة الشعب لذاته ليدل على وجوده بتحقيق آماله ·

كنت أود الافاضة لكن الحيز ضــيق ، والكتاب جدير بالتقدير ·

احمد عبد اللطيف بدر
المدرس الأول ببور سعيد

في موكب العلم

هواء الأرض ومنطقة الحياة

بقلم : الأستاذ فوزى الشتوى

لأى اى ارتفاع تصل حدود الغلاف الهوائى المحيط بكرتنا الارضية ؟ وما هى المناطق أو الطبقات المحيطة بكوكبنا الصغير ؟

ظنوا من سنوات قليلة ان حدود الهواء على ارتفاع ٥٠٠ كيلومتر . وبعدها بأثير عالم الأثير الذى لم يعرفوا كنهه ، ولكنهم ابتكروا التسمية لشيء يمتطيه ضوء الشمس والنجوم عند قدومه الينا . وظنوا ايضا ان غلاف الهواء المحيط بكرتنا يعطينا جوا وبيئة مستقلة تقتصر على التمتع بحرارة الشمس ودفئها ، وتنعزل عن جوها وتقلباته .

وفى القرن الماضى عرف الانسان البالونات ، واطلقها مزودة بالأجهزة العلمية لتكشف اسرار الهواء ، وفى القرن الحاضر عرف الطيران ؛ فكان من الضرورى لسلامة مواصلاته الجوية ، ان يعرف اسرار طبقات الهواء وما بعدها . وفى نهاية الحرب الماضية عرفنا الصواريخ التى تقدم تحسينها حتى استطاعت اطلاق أقمار صناعية دارت حول الشمس وكوكب الزهرة ، كما دارت بانسان حول الارض .



لدراسة مناطق الهواء فى طبقة الحياة لجا الخبراء من زمان بعيد الى الاجسام الطائرة لترسل لهم البيانات، وتبين الصورة خبيرين فى الارصاد الجوية فى عام ١٩٠٨ وهما يهمان باطلاق « طيارة » كالتى يلهو بها الاولاد .

هالة حول الأرض

وارسلت بياناتها من ارتفاع عدة ملايين من الكيلومترات ، ومنها عرفنا ان جو الأرض انما هو جزء من جو الشمس ، ومن الجائز ان يكون جو الشمس ذاتها متأثرا بالجو الخاص بالمجرة التى تحوى عدة ملايين من نجوم لا تقل اهمية عن شمسنا . وان كان لجو ارضنا من مظاهر وسمات خاصة ، فاختلافها محلى ، ويشبه الاختلاف بين اجواء القاهرة واسوان ودمشق وبيروت

وظهر من البيانات التى ارسلها القمران الأمريكيان المستكشف السادس (٧ اغسطس ١٩٥٩) والرائد الخامس (١١ مارس ١٩٦٠) ، ان الأرض تخضع لمجالات مغناطيسية تحدث على بعد ٤٥ الف كيلومتر من الارض . هناك تتألف طبقة كهربية مغناطيسية تمتد نحو ٤٠ الف كيلومتر ، ولها تأثيرها على مغناطيسية الأرض التى لا تستقر على حال ، فتؤثر على بوصلة البحار فى المحيط ، ولو سار على هديها وحده لكان من الجائز ان يحاول الوصول الى نيويورك ، فتقوده البوصلة الى احد موانى كندا على بعد عشرات الاميال . وتؤثر ايضا على المواصلات اللاسلكية ، فيتعذر بفعلها سماع الراديو او التليفونات

وظهر من البيانات التى أرسلتها الاقمار الروسية ان مادة الأرض والهواء تمتد نحو ٢٢ الف كيلومتر ، وتؤلف حولها هالة تشبه هالة الشمس . وقال العالم الروسى « شكلوفسكى » ان حسابات كميات مادة هذه الهالة تعادل كميات الماء التى نقصت من مستوى البحار . وفسر حدوثها بأن ماء البحار يتبخر ، وبعضه يعلو الى الطبقات العليا ، فتحلله اشعة الشمس الى اكسيجين وايدروجين ، فيرسب الاكسيجين بفعل ثقله ، ويطفو الايدروجين ، ويؤلف هالة الأرض

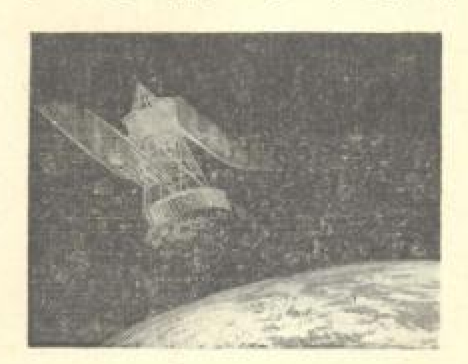
طبقة الحياة

وفى الدراسات المختلفة قسمت الارتفاعات الى مناطق ، وفى قاعها الملاصق للارض الطبقة الحيوية،

وفيها شتى الوان الحياة من نبات وحيوان وانسان . وبفعل جاذبية الأرض يتاخمها الجانب الاكبر من الغازات والأبخرة المؤلفة للهواء ، فالغازات كما عرفها الخبراء مادة كالحديد والنحاس . كما تجذب الارض قطعة المعدن ، فهى تجذب أيضا الغازات المختلفة التى يجوز أن تتصاعد وترتفع بفعل الحرارة والحركة ، ويجوز ايضا هبوطها بفعل البرودة

وبفعل الحرارة والبرودة ، واصطدام ذراته بأخرى ، تجد الهواء فى حركة دائمة بين صعود وهبوط ، وفى الاتجاه الى الشرق ، او الغرب ، او اى الاتجاهات . وبفعل هذه الحركة يحدث نسيم البر والبحر ، وتيارات الرياح المختلفة . ومن طبيعة الرياح ان الباردة منها تزحف الى المناطق الحارة حيث تسخن ، وترتفع ، وتخلى مكانها لأخرى باردة ، والساخنة منها تواصل الارتفاع حتى تبرد ، فتعود الى سطح الأرض ، مما يجعل الكرة الارضية محاطة دائما بتيارات الرياح المختلفة الاتجاهات

وتجذب الأرض كل مادة الى مركزها ، ولهذا تجد اكثر طبقات الهواء كثافة وثقلا على سطح الأرض او قريبة منه ، ولو ركبت طائرة حلقت بك الى ارتفاع ثلاثة كيلومترات او اكثر لشعرت بقلة الهواء هناك ، فتجد نفسك تتنفس بسرعة كى تظفر بحاجتك من الاكسيجين الذى قلت كمياته



القمر الصناعى تيروس ومهمته هى دراسة العوامل الخارجية . وستكون دراسة الجو احدى المسائل التى تعاون روسيا وامريكا فى دراستها وتبادل معلومات الاقمار عنها .

فى تلك الطبقات من الهواء . فالسرعة فى تنفسك تعوض القلة فى الهواء .

الانسان والهواء

وهناك تحس المراكز العصبية فى مخك بهذا النقص ، فتامر رئتيك وصدرك بان تعمل بسرعة اكثر لتسحب مزيدا من مادة الهواء ، وتعوض النقص . فالشهيق الواحد على مستوى سطح البحر يعطيك الاكسيجين اللازم لجسمك . ولكن هذه الكمية تقل بحكم تخلخل الهواء ، فتحتاج الى مرات اكثر من التنفس .

والحالة نفسها تواجه متسلقى الجبال . وكانت قلة الاكسيجين عند قمة جبال هيمالايا ، وارتفاعها نحو ٢٩ الف قدم (نحو ٩ كيلومترات) ، من الأسباب الرئيسية التى منعت كثيرين من روادها من الوصول اليها ، فان نقص الاكسيجين هناك كان يؤدى الى اصابتهم بالدوار ، وعدم القدرة على الحركة . وتغلب سير « هيلارى » على هذه المشكلة باستخدام قناع زود جسمه بحاجته من الاكسيجين ، فكان أول انسان وصل الى هذه القمة

وتمتد الطبقة الحيوية فى الهواء نحو عشرين كيلومترا فوق مستوى سطح البحر . وفى قاعها تجد الاحياء الحياة سهلة لوفرة غاز الاكسيجين فيها . وكلما ارتفعوا عنها ، زادت مشكلة التنفس حتى تصير مستحيلة على ارتفاع ٤٠ او ٥٠ الف قدم . فهناك يصاب الطيارون بالاختناق ، اذا لم يزودوا انفسهم باقنعة الاكسيجين اللازم لحياتهم .

والاكسيجين فى الجسم يشبه الشرارة او الشعلة التى تلهب البنزين وتحوله الى قوة وطاقة تدفع آلات السيارة الى العمل ، فمن الجائز ان تملأ الخزانات به ، ولكنه يكون عديم الفائدة ، اذا تعذر عليك أن تشعله . وكذلك الجسم ، من الجائز ان تمتلأ معدته بالطعام ، فاذا نقص الاكسيجين فى الدم استحال عليه ان ينقل الغذاء او الوقود الى الخلايا والأنسجة والعضلات

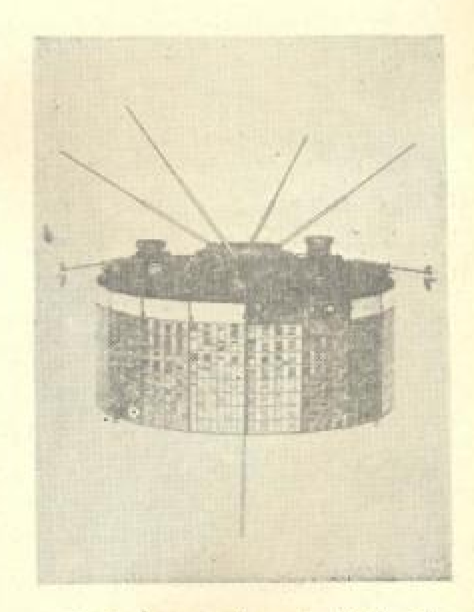
الوقود وشعلته

والطعام كما تعرف يؤدى عدة وظائف هامة منها تزويد الجسم بالقوة اللازمة لحركته ونشاطه ، وبالمواد البانية للخلايا والأنسجة المتجددة . ومن الجائز ان يختزن الجسم غذاءه

عدة ايام ، بعيشها الفرد بغير طعام ، ولكن هـذا الغذاء المخزون يستحيل على الجسم استخدامه اذا لم يتغذى الدم بالاكسجين او الشـعلة اللازمة لحرق الطعام ، فالدم بخلاف شتى اجهزة الجسم لا يختزن اكسجينه الا لبضع دقائق تعد على الأصابع

واذا تعذر على الدم تقديم الشعلة ، تعذر على الخلايا والانسجة ان تظفر بالوقود الضرورى لها ، فتصـاب بالجوع ، وتتوقف عن اداء وظائفها . واكثر الخلايا تأثرا بالنقص الاكسجينى هى خلايا غشاء المخ . وهى الحاكم الذى يسيطر على شتى اعضاء الجسم ، فبامرها وحده تعمل شتى اعضاء جسمك . واذا ما عجزت عن اصدار الأوامر بسبب الجوع ، توقفت شتى الأعضـاء ، ومنها القلب والرئتين ، وكانت نهاية الحياة

وحلل الخبـراء الهواء الجاف الخـالى من الرطوبة وبخار الماء على سطح مستوى البحـر ، فوجـدوه يتألف من ٧٨٪ من غاز الازوت ، ٢١٪ من الاكسجين ، و ٣٪ من ثانى اكسيد الكربون ، والباقى غازات نادرة كالهليوم والارجون وغيرها ، وغيرها .



القمر الصناعى تيجيوس التى تستعد امريكا لاطلاقه لدراسة منطقة الحياة وما يؤثر عليها من جـو الارض وما يطرا على الطقس من تغيرات

توزيع الهواء

وتجد هـذه النسب فى اى ارتفـاع بالمنطقة الحيوية ، ولكن الكميات تقل كلما ارتفعت ، فتجد ٧٥٪ من هواء غـلاف الارض تحت ارتفـاع ٩ كيلومترات . واذا واصـلت الارتفاع الى ١٧ كيلومترا ، فان كمية الهواء تنقص الى ١٪

وحسب الخبـراء عـدد ذرات الهواء فى السنتيمتر المربع على سطح الارض ، فوجدوه ٣٠ كانزليون (٣ وامامها ١٩ صفرا) ذرة ، وتقل هذه الكمية الى ١٧٠ مليون ذرة فى السنتيمتر المكعب على ارتفـاع ٣٢٠ كيلومترا ، واذا ما وصـلت الارتفاع ١٠٠ الف كيلومتر قل عدد الذرات الى ١٠٠٠ فى السنتيمتر المكعب ، حتى المسـافة بين النجوم كالشمس والفاسنتورى ــ اقرب النجوم الينا ــ ليست خالية من المادة ، بل تجد فيها نحو ١٠ ذرات فى كل سنتيمتر مكعب

وتسمى الطبقة الملاصقة للارض بالطبقة المتغيرة لمـا يحدث فيها من تقلبـات جوية من زوابع ، واعاصـير ، وبرق ، ورعد ، وامطار . ومعدل الحرارة على سـطح الارض ٢٠ درجة مئوية . وتنخفض كلما ارتفعنا حتى تصـل الى ٦٠ تحت الصـفر على اطراف المنطقة الحيوية التى تنتفخ وتتسع عند خط الاستواء ، وتنبعج فوق القطبين بسبب دوران الارض .

سر لون السماء

واذا ما صعدت الى ارتفاع ٩ كيلومترات تقريبا ، فانك تشاهد سـماء صـافية بلون أزرق عميق لا سبيل الى رؤيته من سـطح الارض . وقد تعجب لمـاذا لا تظهر القبة بلون احمر او اخضر او اصفر ، وهى الوان موجودة فى ضوء الشمس ، وتراها فى قوس قزح عقب حدوث المطر ، وتراها اذا ما وضعت منشورا زجاجيا فى طريق حزمة ضـوء شـمسية . تنفذ منه الأشعة على هيئة مروحة مؤلفة من شتى الالوان السبعة

وتأمل هذه المروحة بألوانها تجد فيها بعض سر

زرقة السماء فهى تبدأ بالبنفسجى ، والنيلة ، والازرق ، فالاخضر ، فالاصفر ، فالبرتقالى وفى النهاية الاحمر . وفيها ترى الالوان الزرقاء شديدة الانكسار وبعيدة عن مهبط الحزمة الضوئية على المنشور . وهذا الانكسار الشديد مع قوة توزيع جسيمات الهواء للالوان البنفسجية والزرقاء ، وقلة هذا التوزيع للالوان الصفراء والخضراء هو سر زرقة السماء

وعندما تلتقى اشعة الشمس بجسيمات المادة او الهواء ، فان الاشعة تنكسر ، وتنعكس ، ويتضاعف هذا الانكسار بلايين المرات فى خطوط شديدة التعرج تبعا لتناثر المادة او الهواء فى الجو . واخيرا يصل الينا وقد ساده اللون الازرق ، بعد ان تشتت الالوان الاخرى . ويخيل الينا انه قادم من الشمس مباشرة ، بينما الواقع انه قادم من كل اتجاه

سر الاضاءة

والمظهر الشمسى الوحيد الذى يصلنا مباشرة ، او باقل كمية من الانكسارات هو قرص الشمس نفسه ، فنراه اصفر . فاذا ما اقبل المساء ، وهمت الشمس بالغروب ، تعرضت اشعة قرصها لنوع من الترشيح الجوى الذى يمتص اللون الاصفر ، ويسمح للاحمر وحده بالنفاذ الينا . وعندئذ نراها فى ذلك اللون الذى يتغنى بجماله الشعراء

والظلام والنور مسالة انعكاسات . ومن الجائز ان تجلس الى جوار مصباح مضىء ، ومع ذلك تظهر فى الظلام ، بينما يتوهج جسم آخر بعيد تقع عليه حزمة الضوء ، وترتد منه ، فتضىء ما حوله . وهى الخاصية التى استغلت فى انواع الاضاءة الحديثة التى لا ترى فيها مصادر الضوء ، اذ توضع المصابيح فى مخابىء ، وترسل ضوءها الى الجدران ، وهذه تعكسها ، وتوزعها على شتى انحاء الغرفة

والظاهرة نفسها تنطبق على مصباحنا الشمسى الكبير ، فمنه تقدم الاشعة ، وتنعكس فى النهار على كل جسم يصادفها ، وتبعث ضوءها فى كل اتجاه ، وبهذا تظهر الظلال مضيئة بفعل ذرات الهواء المتناثرة . وهى ظاهرة لا تجدها فى القمر بسبب قلة الهواء فى جوه ، واذا ماراقبته تجد بعض اجزائه شديدة التوهج والاضاءة ، بينما تجد الظلال قائمة شديدة السواد

وبسبب قلة الهواء فى طبقات الجو العليا ، تقل الاضاءة ايضا لان ضوء الشمس لا يجد مادة كثيرة ينعكس عليها ، كما هى الحال على سطح الأرض . هناك الانعكاسات قليلة ، ويتبعها قلة الاضاءة .

وطبقة الهواء فوق سطح الارض اشبه بتلك الصحاف او الأوانى التى نضعها فوق المصابيح لتعكس كل ضوئها وتوزعه فى الغرفة

حرارة الارض والسماء

ولكثافة الهواء على سطح الأرض وتخلخله كلما ارتفعنا اهمية بالغة فى تفسير كثير من مظاهر الطبيعة والحياة . ولهذه الكثافة نحن مدينون بالدفء والحياة . وقد نسمع أن درجة الحرارة على ارتفاع ٢٠٠ ، و ٣٠٠ كيلومتر ، تصل الى ١٥٠٠ درجة . وليس معنى هذا انها صالحة لصهر الحديد مثلا . بل الواقع انك لو ارسلت اليها كمية من الماء لتحولت الى جليد بفعل البرودة العامة وبفعل نوع من سوء الفهم بين رجال العلم وعامة الناس

فالحرارة فى عرف العلماء هى الحركة ، فان كانت المادة ولو ذرة واحدة سريعة الحركة فهى مرتفعة درجة الحرارة ، وان كانت بطيئتها فهى منخفضة درجة الحرارة . وعندما تتعرض المادة لدرجة حرارة الشمس فانها تمتص بعض طاقتها او حرارتها ، وكلما زادت كمية المادة زادت ايضا درجة الحرارة . وعلى سطح الارض يحوى السنتيمتر المكعب ٣٠ كالزليون ذرة . وينخفض هذا العدد الضخم الى ١٠٠٠ فقط على ارتفاع ١٠٠ الف كيلومتر . وبالتالى يكون مخزون المادة من الحرارة قليل ، بل تافه ولا تجوز مقارنته بالحرارة على سطح الارض

والحرارة تنتقل من مادة الى اخرى اذا ما لامستها او احتكت بها . وطبيعى انه كلما زادت كثافة المادة زاد الاحتكاك وزاد انتقال الحرارة . وبالتالى نحس بالدفء على سطح الأرض ويقل احساسنا بالحرارة كلما قل وجود المادة

الكتب : نقد وتعريف

مؤتمر القمة الأفريقي

وما بعده

تأليف : أحمد صوان

يبين الكتاب الأساس الذى قامت عليه فكرة انعقاد المؤتمر مشيرا الى أن المؤتمر كان تجميعا لثلاث مجموعات افريقية ـ هى مجموعة الدار البيضاء ومنروفيا وبرازافيل .. وكيف انصهرت هذه المجموعات ـ مبدئيا ـ فى صورة موافقتها بالاجماع على حضور المؤتمر وذلك على رغم المحاولات المتكررة من جانب الصهيونية والاستعمار فى اعاقة اجتماع الرؤساء الافريقيين حول مائدة واحدة مثال ذلك اثارة نزاع الحدود بين كينيا والصومال والتركيز عليه .. وربط كثير من الدول الافريقية الحديثة الاستقلال بالسوق الاوربية المشتركة وذلك للحيلولة دون اقامة السوق الافريقية المشتركة ثم اثارة مشكلة عدم حضور توجو للمؤتمر ـ هذا بالاضافة الى اختلاق التحديدات المزعومة لافريقيا ـ مثل ـ افريقيا البيضاء ـ وافريقيا السوداء بقصد التفرقة بين شعوب القارة الواحدة ـ وقد كانت هذه المخططات الاستعمارية والصهيونية موجهة لعرقلة انعقاد المؤتمر

وقد قارن المؤلف بين مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ الذى قسمت فيه افريقيا بين دول أوربا الاستعمارية وبين مؤتمر القمة الافريقى سنة ١٩٦٣ الذى خطط لمستقبل أفريقيا المستقلة .. وقد احتوى الكتاب أيضا على النص الكامل لخطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر .. الذى بين فيه سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه القارة الافريقية ـ محددا اتجاهها موضحا أبعادها مشيرا الى النقاط الحيوية الحساسة فى واقع القارة وماضيها ومستقبلها ..

وأورد المؤلف ـ نبذا ـ عن حياة ٢٨ رئيسا من الرؤساء الافريقيين وكفاحهم فى سبيل استقلال بلادهم مبينا ميولهم واتجاهاتهم السياسية هذا بالاضافة الى النص الكامل لميثاق منظمة الوحدة الافريقية ومناقشات مؤتمر داكار وقراراته والقرارات الخاصة بلجنة تحرير افريقية ؟

والرسالة تقول : لا شك انه ما زال ينقصنا الكثير من المعلومات الخاصة بافريقيا .. لأنه لابد لنا من معرفة الكثير ـ لا فيما يتعلق بالاتجاهات السياسية للدول الافريقية بل فيما يتعلق بحياة شعوبها وعاداتهم وطرق معيشتهم .. اننا نقع فى الجزء الشمالى الشرقى لافريقيا .. وعندما ذهب جنودنا الى الكونغو تحت علم الامم المتحدة لحماية استقلالها والمحافظة على وحدتها الوطنية كنا نؤكد مسئولياتنا كافريقيين بالمساهمة فى تدعيم قضية الحرية والسلام فى وسط افريقيا .. ولقد كانت تجربة مفيدة حقا

ذلك لاننا استطعنا من خلالها تفهم دراسة الوسائل الاستعمارية الملتوية ـ على الطبيعة الافريقية ـ فى تفتيت الحركات التحررية الافريقية ..

ولكننا نتساءل .. أيكفى اصدار بعض الكتيبات الصغيرة عن افريقيا لاشباع رغبتنا فى معرفة مايدور فيها من صراع الآن ..؟

وهل التركيز على ترجمة الكتب الاوربية عن افريقيا يفى بالغاية التى نريدها ؟

فى رأينا انه لا هذا ولا ذاك ..!! لان الكتب الصغيرة والمقالات التى تنشر على فترات متقطعة لا تتعمق ولا تنفذ الى ما وراء الاحداث والاتجاهات العامة وخاصة الرسمية منها .. أما الكتب المترجمة .. فاننا وان كنا نود ان ندرس وجهة نظر الفكر الاوروبى الخاص بافريقيا .. الا اننا يجب ان ندخل فى اعتبارنا ـ ان الكثير من الكتاب الاوربيين ما زالت افكارهم مرتبطة ـ بالمواد الخام ـ والاسواق المفتوحة

لتصريف المنتجات الاوربية .. وهى امتداد لفكرة رسالة الرجل الأبيض .. ولكنها فى صورة مغلفة .

نريد أن نقول .. انه اذا كان الأوربيون ، قد غامروا كثيرا فى زمن التوسع الاستعمارى وقام الكثير منهم باستكشاف مناطق عديدة فى افريقيا . ومهدوا لاستعمار هذه المناطق - فى وقت كانت فيه طرق المواصلات صعبة ومرهقة ..

فلماذا لا تقوم من هنا بعثات الى داخل افريقيا لا للاستكشاف ولكن لدراسة ماتنج عن الاستكشافات ومن بعدها الاستعمار على المستويات الشعبية الافريقية .. وتخرج لنا هذه البعثات دراسات مستفيضة عن حياة شعوب افريقيا - تكون مصادر أبحاثها هى الشعوب بحياتها وتطلعاتها لا بضعة سطور من مراجع اجنبية - لا ندرى مدى أمانتها العلمية .. وعندما يعرف اولئك الذين نرسلهم فى بعثاتنا التعليمية الى دول افريقية المختلفة طبيعة حياة من يذهبون اليهم سوف تكون لديهم القدرة - ليس على تثقيفهم فقط .. وانما على شرح وجهات نظرنا المتعددة فى مشاكل كثيرة على المستوى الشعبى الافريقى .. وخاصة موقفنا من اسرائيل وعدالة قضيتنا .. انه لا يكفى مطلقا توقيع البيانات الرسمية عقب زيارة احد الاقطاب افريقيا لنا واعلان اتفاق وجهات النظر بخصوص اسرائيل كقاعدة للتسلل الاستعمارى فى افريقيا .. وانما يجب أن تكون هذه البيانات مقدمة لتفاعل شعبى يتم على مستوى الافراد الذين يذهبون الى افريقيا لتنفيذ الاتفاقات الحكومية ..

وكيف يعمل هؤلاء - بدون الاساس الفكرى الذى يجب أن يتزودا به عن افريقيا - قبل رحيلهم - يجب أن نواجه التسلل الاسرائيلى الى افريقيا بالمرونة وسرعة الحركة لتجميد هذا التسلل تمهيدا للقضاء عليه ولا بد لتنفيذ ذلك من تخطيط شامل واعى ..

والكتاب من الكتب التى يجب قراءتها ويقع فى ٧٤ صفحة من القطع المتوسط - والناشر الدار القومية ..

تحسين عبد الحى

التطورات والثبات فى حياة البشرية

تأليف : محمد قطب

هذا الكتاب الجديد للاستاذ محمد قطب نشرته مكتبة وهبة بعابدين ، ويقع فى حوالى ٣١٥ صفحة

المؤلف يذكر فى مقدمة كتابه ان هذا العصر هو عصر التطور ، كل شىء فيه يتطور .. الافكار والعقائد .. القيم والمفاهيم .. الاخلاق والتقاليد وحين تستولى فكرة التطور على افهام الناس .. فلا بد أن يصطدم تفكيرهم بالدين ، لان الدين فى حس البشرية يمثل الثبات ، ثبات الاله وثبات العقيدة ، وثبات العبادة .

***

وعندما عرض المؤلف لليهود الثلاثة : ماركس وفرويد ودوركايم ، ذكر أن اليهود - وان لم يكونوا هم الذين انشأوا الفرقة بين اوربا وبين المسيحية ، لان الفرقة قامت بالفعل منذ قيام النهضة دون تدخل من اليهود - الا أن الدور الذى قاموا به كان شديد الخطورة ، وهو احداث الفرقة بين الدين والعلماء ، وبين الدين والمفكرين ، واستطاع اليهود الثلاثة أن يتدخلوا فى الامر ليجعلوا من كل ذلك نظرية يسندها العلم ، بعد ان كان مزاجا شخصيا او كضرورة يتلمس الناس اليها الاعذار .

***

ويواصل المؤلف بحثه ، فيتناول الثابت والمتطور فى كيان الانسان ، والاسلام وحياة البشرية ، والاسلام والرجعيات ، والانحراف بيننا وبين الغرب ، ومستقبل البشرية ، ثم دور المسلمين ، حيث يريد لهم أن يكونوا دائما فى الطليعة ، وأن يمسكوا فى أيديهم مقدم الزمام ، أن يكونوا - باختصار - خير أمة أخرجت للناس ، شهداء على الناس وقادة للبشرية .

محمد عبد الله السمان

البريد الأدبي

عمرو بن العاص لم يشهد مؤتة

ذكر السيد اللواء الركن محمود شيت خطاب وزير البلديات بحكومة العراق في مقاله الأول (قادة الفتح الاسلامي) الذي نشر بالعدد ١٠٢٤ ان عمرو بن العاص شهد موقعة (مؤتة) بعد عودته من غزوة ذات السلاسل ·

ووجه الصواب : أولا ان عمرو بن العاص لم يشهد غزوة مؤتة ، وقد كان قوادها : زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، وقد استشهد ثلاثتهم ، ثم تولى القيادة خالد بن الوليد الذي انقذ الموقف ·

وثانيا : أن غزوة مؤته كانت سابقة لغزوة ذات السلاسل ، الاولى في جمادي الاولى من السنة الثامنة للهجرة والثانية في جمادي الآخرة من السنة نفسها ·

محمد عبد الله السمان

هكذا يفهم الشعر :

قرأت في البريد الادبي من الرسالة الغراء تعليق السيد محمد محمود شمس على هذا البيت من قصيدتي : « شعلة الكفاح » :

يمنح الشعب مايريد ، ولا يأخذ شيئا لقلبه المتاح

فوجدته يعترض على استعمال كلمة « يمنح » لانها تجعل الانتصارات الثورية منحة من القائد لشعبه، وهذا منتهى السذاجة في فهم الشعر ونقده ، لأن من أوليات النقد أن ينظر الناقد في القصيدة نظرة كلية عامة تساعده على ادراك المقصود من جزئياتها ، وبعد ذلك يبني حكمه عليها · ولو أن السيد المذكور فعل ذلك لرآني أمجد الشعب ، وأبين انه صاحب الثورة وصانعها : ثورة الكادح ·· ثورة الزارع ·· آن يا شعب ··· الى آخر ما قلته في قصيدتي ·· اما ان الزعيم يمنح الشعب فهذا حق ، لانه حقق له العزة والكرامة ، وخلصه من الذل والمهانة حين دفعه الى الثورة فاستجاب له ، ومنحه حبه واخلاصه، فالمنحة متبادلة بين الشعب والزعيم ، بل بينه وبين كل من يخدمه بالعمل النافع والتوجيه السديد ·

وبعد ·· فهكذا ينبغي أن تفهم الشعر يا سيد محمد محمود شمس ··

ابراهيم محمد نجا

الدين روح الاشتراكية وضميرها

روح الدين تمجيد للحق والخير والجمال وكراهية لدمامة النفس وموت الشعور وطريقه الى ذلك ان يخاطب المشاعر ويرهف العواطف ويسمو بها الى آفاق انسانية عالية ، على شطآنها وضفافها يتآخى الانسان مع أخيه الانسان فان لم تجد هذه الطريق مع غلاظ الاكباد فعدل الحاكم ومسئوليته مع المجتمع في اقامة الحق وانصاف الطبقات وتوزيع الموارد والثمرات واعطاء كل ذي عمل أجر عمله ، وقد كانت حروب الردة اقتصادية أخذت حق المجتمع من مانعيه وغاصبيه وأول شيء فعله المرسلون في سبيل تحقيق غاياتهم هو الحب العظيم للحياة والبشر فكان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن شيء الا اعطاه · وكان يعيش مثلما يعيش اصحابه لا يتميز دونهم بشيء ، ففؤاده نهر عظيم يسبح في ضفافه الصادح وموجه الهادر القوى · كل المعذبين والمشتاقين للرحمة والمحتاجين للحنان يمنحهم حبه وحنانه ورحمته من قلبه الغامر بالاشواق الصادقة الرفيعة وهو لا يمنح هذا الحنان شفقة ومنة بل عرفانا بالحق وفيضا نبيلا من مصدر اعظم هو الحب المطلق الاكبر الذي تفجر من الحق وانهل جمالا من الجمال المطلق رب البرايا ورحيم الحياة ورحمانها مالك الكون كله والرسول وهو من المثل الاعلى مشكاة ونبراس يمنح هذا الحب ويعطيه حقا واجبا من اشواقه وأفكاره وأخلاقه وصفاته التي تكره الذل والعبودية لغير الله سواء للمال او للطبقة ويتقبل بعد ذلك ان يقول له رجل من عرض البشر : اعطني حقي يا محمد فانك لا تمنحني من مالك ولا من مال أبيك ·· وينهر اصحابه حين حاولوا أن ينهروا الرجل لعنف أخلاقه ·· فهو يؤمن بأن حق الحياة لكل موجود ··· لكل الأحياء ، للبائس المحروم والمتعب المكدود والمرهق الغريب واليتيم والاجير المعنى صاحب اليد الخشنة وغيرهم من الذين كانوا يقعون في براثن الحاجة والعوز بل هو حق كذلك للحيوان كالفرس والكلب والهرة ، وللاصدقاء والمخالفين في الرأى ·· فالحب العظيم هو سر باله ومنهاجه وشرعته ، يعطف على الكادحين ويكره من اجلهم الفقر ويستعيذ منه ويحاربه بالعمل ويأمر ان يعطوا اجورهم قبل جفاف

عرقهم ، ويعمل على ابادة هذه الشرور من جذورها ليسعد الناس والاحياء جميعا ٠٠وقد صوب المرسلون جميعا ابصارهم وبصائرهم وثوراتهم الى محاربة الجشع واللؤم والخسة والضعف ، ، وما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم ، ، وهم جميعا صلوات الله عليهم قد انبثقوا من بيئة الفقراء البسطاء ٠٠ رعاة الاغنام ٠٠ والاجراء ٠٠ من أجل أن يشعروا بهم ٠٠ ويتألموا لهم ٠٠ وينفعلوا معهم ايجابيا من أعماقهم وايمانهم كي يغيروا الاوضاع الظالمة السائدة فى المجتمعات المنحرفة ويحولوها تحويلا أساسيا نحو التآخى والاشتراك والتعاون ٠٠ ومن هنا كانت رسالاتهم حروبا فكرية وروحية على الظلم والاكتناز والاثرة واحيانا تتحول الى حروب عسكرية ضد الطبقية الراسمالية حينما تحاول قتل الافكار العادلة ووأد الرسالة الجديدة التى تنادى بالعدل والحق والاخاء والمساواة فى الحقوق والواجبات وحينما نادى صلى الله عليه وسلم داعيا « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا وأحشرنى فى زمرة المساكين » لم يكن داعيا الى الفقر فهو يستعيذ بالله منه ٠ انما كا فى أشواقه العليا من حبه للبشر المحتاجين للحنان وابائه ان يتركهم وحدهم فىمعركة الحياة فرائس للذل والفاقة والهوان ٠٠ فدعاؤه هذا ليس دعاء مستضعف بل هو دعاء قوى صارخ ضد الطبقة التى يكافح من اجلها ويتبنى الحق الذى شيده لها فهو منهم ومعهم ولهم وهم اول من لبى نداءه كيما يجدوا تحت جناحه الايمان والامان والطمأنينة والحب والرحمة والانصاف والكرامة والعزة والرفاهية والانسانية وصداقة الكون كله وعبادة الله وحده ٠

محمد أبو المجد على
من علماء الازهر الشريف

***

اسخيلوس لا أشيل

قرأت فى العدد ١٠٢٤ من الرسالة مقالا للاستاذ على متولى صالح تحت عنوان « حديث فى النقد » وقد ذكر فى الصفحة ١٨ أن أرستوفانيز فى مسرحيته الضفادع قد عقد موازنة بين شعراء اليونان التراجيديين الثلاثة وهم : « على حد قول صاحب المقال » سوفوكل وأشيل ويوربيديز ٠٠٠ ولمنهجية النقد التى يدعو اليها الكاتب ٠ اذكر أن أرستو فانيس لم يوازن بين سفوكل واشيل ويوربيديز بل وازن بين ايسخولس وسفوكليس ويوربيدس ٠ أما اشيل هذا أو أخيل أو أخيلوس ، فهو بطل الالياذة ملحمة هوميروس الخالدة (٩ ق م ؟) وقد ذكر ذلك صراحة فى أول بيت منها عندما قال هوميروس « غنى غنى يا ربات الشعر ، فقد غضب اخيليوس بن بليوس » وبعدها يتناول أعماله وبطولاته بما يجعلنا نسمى الالياذة بملحمة اخيليوس أو ملحمة اشيل ٠ أما ايسخولس (٥ ق م ؟) فهو الكاتب المسرحى اليونانى العظيم الذى اعجب به أرستو فانيس وقدمه لسبب ما على زميليه سفوكليس ويوربيدس فى مسرحيته الضفادع وهو الذى كان يقصد الاستاذ الكاتب ٠

باهر النحال
الزقازيق

الى الاستاذ السمان

فى عدد الخميس ١٥ أغسطس سنة ١٩٦٣ من مجلة الرسالة ٠٠ كتب الاستاذ (السمان) مقالا دار حول « الفكر العربى والاسلامى فى أسبوع » عرض فيه لثلاثة من المؤلفات التى ظهرت خلال هذا الاسبوع ٠٠ أولها : « السنة قبل التدوين » للاستاذ محمد عجاج الخطيب ـ وثانيها : « ديوان مجد الاسلام » للمرحوم الشاعر الاستاذ احمد محرم ـ وثالثها : « تأملات فى الادب والفن » وهو بحث ظهر فى احدى المجلات الاسلامية الصادرة فى ليبيا قام به الاستاذ أبو بكر الفقهى ٠ ٠ ٠ ومن عجب أن الاستاذ السمان قام عقب ظهور عدد الرسالة بعدة أيام ٠٠ وفى يوم الاثنين الموافق ١٩ من نفس الشهر باذاعة هذا المقال ضمن مواد عدد مجلة الادب الذى أذاعه البرنامج الثانى باذاعة الجمهورية العربية ٠٠٠ اننا نريد لمجلة الادب الاذاعية الجديد من المقالات والتعليقات ٠٠٠ ثم نريد للرسالة أن تنفرد بنشر موادها حتى تحفظ ـ كما عهدناها ـ لموادها قيمتها غالية غير رخيصة ٠٠ لا ينافسها فيها منافس ٠٠٠ ثم نريد من الاستاذ السمان ـ مزيدا من الجهد حتى لا يكرر نفسه ٠

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

أخبار علمية وأدبية

● يبحث مجلس جامعة اكسفورد اعادة كرسى اللغة العربية لتدريسها بالجامعة ، ومن المعروف أن هذا النظام كان معمولا به منذ ثلاثين عاما ، وكان يتولى كرسى الأستاذية هنـاك المرحوم جاد المولى المفتش للغة العربية بوزارة المعارف بالقـاهرة سابقا .

● اكتشفت طريقة جديدة ينتظر أن تكشف عن بعض أسرار السرطان والمخلوقات المعروفة باسـم فيروس ، مما يجعلها تعبث بالخلية وتحولها عن طريقها الطبيعى . وذلك باستخدام الأيدروجين المشع المعروف باسم تريتيوم .

وابتكر هذه الطريقة فريق من الباحثين بمعهد سلون كيترينج لبحوث السرطان بنيويورك ويرجع سر الكشف الى خواص التريتيوم القوى الاتحاد بنواة الخلية التى تحمل جسيمات التوريث ، والتحولات التى تحدث فيها تعد مسئولة عن عـدد كبير من الامراض القاتلة .

ومن خواص التريتيوم أيضا اشعاعه لموجات قصيرة يمكن بمعونتها تتبع مايحدث داخل الخلية وهذا من الاسرار التى لاتزال مجهولة وخاصة حين يفرز الفيروس نواته فى الخلية ويسخر موادها فى انتاج فيروسات أخرى تعمل بدورها على قتل عائلها وهو المريض .

● أصدر الاتحـاد السوفييتى اول أطلس فى العالم لكوكب المريخ ، وهذا الأطلس كما ذكرت وكالة تاس يحتوى على اربعمائة واربعة وسبعين رسما للمريخ عند ماكان فى أقرب نقطة الى الارض عام ١٩٥٦ ، وقد اشترك فى وضعه العلماء السوفيت من مختلف مراكز المراقبة بالاتحاد السوفيتى .

● صدر حديثا «كتاب الوحشيات» لابى تمام ، وهو المسمى بالحماسة الصغرى ، وقد حققه العلامة الاستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى من عليكرة بالهند ، كما راجعه وزاد فى حواشيه الاستاذ محمود محمد شاكر .

هذا وقد اعتمد المحقق فى تحقيقه للكتاب على أصله الموجود بكتبخانة السلطان احمد الثالث فى لا توب قبوسراى باستنبول ومصـوره بدار الكتب بالقاهرة .

● ثبت الخبراء فى مدينة طوكيو باليابان جهازا الكترونيا فى أحد احيائها ومهمته تسجيل الضوضاء وتقديرها فى كل من أوقات الليل والنهار .

وبعد ايام قال الخبراء والرسميون : ان الناس لو سمعوا الاصوات المنكرة التى يطلقونها لالتزموا الهدوء ولعاشوا حياة أفضل ، ويقترح بعض الخبراء اذاعة هذه التسجيلات حتى يعرف الناس مايصنعون ، ويدركون أن ضوضاءهم مسئولة الى حد كبير عما يصيبهم من أمراض عصبية .

● صدرت فى تونس سلسلة ثقافية جديدة عن أعلام المغرب العربى ، يشرف عليها الاستاذ أبو القاسم محمـد كرو من أدباء تونس ، وكان أول كتاب صدر من هذه السلسلة عن شاعر الفاطميين «ابن هانىء» الذى لقبه النقاد بمتنبى المغرب .

● يستطيع الاحياء أن يعيشوا اثنى عشر قرنا من الزمان وهم فى حالة نوم كنومة أهل الكهف . أما سر النومة فتعرفه «مجموعة من الميكروبات التى عثر عليها أخيرا فى مقبرة مغلقة لأحد زعماء قبائل المايا الذين عاشوا فى جواتيمالا .

وقال الخبراء : ان أهم مالاحظوه فى تلك المقبرة هى حرمانها من الرطوبة ، ولكنهم وجدوا مجموعة من الميكروبات التى ظهرت خاملة وليس حولها اى طعام يصلح لتغذيتها ، ولما وضعت فى جهاز حضانة استأنفت حياتها وبدأت عمليات تكاثرها .

وصرح احد الخبراء بأنه اذا جاز للميكروبات أن تعيش كل هذه الفترة فى حالة خمول ، فان هـذا جائز أيضا للحيوانات العليا كالانسان ، ولـكنه يحتاج الى دراسة أكثر لانه أشد تعقيدا منها . .

ويدرس الخبراء البيئات المختلفـة التى تجعـل الميكروبات فى حالة خمول ومنها ينتظر التـدرج لمعرفة مايحدث للانسان .

● نظمت الجمعيات الثقافية فى تطوان بالمغرب العربى معرضا للـكتاب العربى يضم مخطوطات قديمة وكتبا حديثة ، وقد شاركت المكتبات العربية بتطوان فى هذا المعرض الذى أقيم بمقر الجـامعة الشعبية واستمر أسبوعين .

● أحدث كتاب فى السوق عنوانه (كل شىء عن كليوباترة) وقد ألفته باللغـة الانجليزية الكاتبة الامريكية اليانورهرن بلو .

الرسالة الناقصة

للأستاذ قاسم النطاط

ــ ان كنت شريفا فطلقني ..

بهذا صرخت لطيفة في وجه زوجها . ووقف ابراهيم ينظر اليها ذاهلا . كانت اهانة فظيعة في هذا المجتمع العائلي .

وارتفعت رؤوس الحاضرين ، واستقرت عيونهم جميعا تتطلع الى ابراهيم لترى اثر هذه الجملة القاسية في نفسه . وما سيفعله بهذه الزوجة المتهورة الحمقاء .

وصعد الدم في وجه ابراهيم حتى بدا محتقنا شديد الاحتقان ، ودارت الافكار في راسه بسرعة جنونية وكأنها سكاكين حادة تحز في طوايا راسه .

ماذا يفعل ؟ هل يستجيب لهذا التحدي الفظيع ، فيطلق هذه الزوجة الحمقاء ؟ ولكن اهلها لايكادون يسدون الرمق . امها عجوز بلغت من الكبر عتيا ، واخوها الوحيد عامل فقير يشكو من مجموعة من الامراض طالما الزمته الفراش ، اما ابوها فقد مات بعد أن باع آخر دار يملكها ، وانفق آخر فلس من تلك الثروة الطائلة التي خلفها له الاجداد ..

وفوق هذا كله فهو مازال يحبها اعمق الحب ، ولكن كبرياء الرجل اعز عليه من قلبه وحبه ..

هل يسكت ابراهيم على هذه الاهانة الفظيعة ، وهناك عشرات العيون تتطلع اليه ، تنتظر ان يفعل شيئا يرد به على هذه اللطمة القاسية ؟

وانطلقت لطيفة تبكي بحرارة وحرقة ، وتحولت العيون اليها ، فوجدها ابراهيم فرصة مناسبة ، وانسحب من الغرفة بخطى ثقيلة رتيبة .

منذ عدة اعوام تزوج ابراهيم من لطيفة ، وكان موّظفا صغيرا ، وكانت الحرب العالمية الثانية قائمة على قدم وساق ، والعالم يضطرب في حمى مضطرمة من القلق ، ويقاسي ويلات تلك الحرب الضروس . فلقد كان كبش الفداء في البلاد التي لم تسمع أزيز الرصاص ورعود المدافع ، تلك الطبقة التي ابتليت بمورد محدود ، فكان الغلاء على هذه الطبقة المسكينة اشد ايلاما واكثر فتكا من القنابل والرصاص .

كان ابراهيم اذن واحدا من الضحايا ، له ماتم في نهاية كل شهر ، هو ماتم يوم الراتب ، اذ يحار في امره ، لمن يعطي هذه القبضة الصغيرة من الدنانير ، وهي كل مورده الشهري ؟ ايعطيها لبائع الاقمشة ، ام يعطيها للخياط ، ام لصاحب الدار الآيلة للسقوط التي يسكنها مرغما ، ام للعطار ام للبقال ؟ .

كان صاحبنا يعيش في هذا الجحيم هو وزوجه لطيفة .

ومع هذا ، كان هذان الزوجان يعيشان حياة زوجية مثالية ، تغمرها السعادة وتفيض بالحب والتضحية والايثار . لقد كان كل منهما يريد أن يضع اللقمة التي تصيبه في فم صاحبه ، فاذا اراد أن يشتري لها حلة جديدة ، راحت تتوسل اليه ان يشتري بدلة لنفسه لأن بدلته لم تعد تليق بانسان موظف .

وكان ابراهيم يكبر في زوجه ذلك الايثار وتلك التضحية ، فكان في غالب الاحيان يفضلها على نفسه فيدع الضروريات من حاجاته ليجيء لها بحلة جديدة

ولقد ظل ابراهيم وزوجه ، بالرغم من كل تلك الظروف القاسية ، يعيشان في سعادة وغبطة ، الى ان امتدت يد الغيرة ، لتلقي بالوساوس والاوهام في قلب لطيفة ، تصور لها زوجها وقد اشتغل قلبه بحب امراة جديدة لاتدري من هي !.

كان ابراهيم كثير الشرود كثير النسيان ، اذا اشتغل فكره بأمر انصرف اليه بكل نفسه ، فلايعود يسمع مايقال حوله ، ولاينتبه لمن يناديه الا بعد ان يكرر النداء عليه بضع مرات . ولم تكن زوجه لتؤاخذه على حاله هذا ، فقد عرفته عليه منذ زواجهما ، وألفته منه ، ولكنها حين بدأت الوساوس تراود نفسها ، راحت تفسر شروده هذا وانصرافه عنها بانشغاله بالحبيبة الجديدة المجهولة . وان اسر كلاما لبعض أهله وذوي قرباه ، حسبت انه انما يتحدث عن حبيبته وموعد زفافها له .

وهكذا راحت لطيفة تضرب اخماسا لاسداس ظانة ان عهدها بهذا الزوج الحبيب قد انتهى ، وانها على وشك ان تخرج من حياته ، لتحل محلها الزوجة الجديدة ، بعد تلك السنين السعيدة التي قضتها معه ، وكأنها كانت في حلم من الاحلام الجميلة .

لم ينتبه ابراهيم الى هذا التبدل في تفكير زوجته واوهامها ، بل اخذ يلاحظ انها اصبحت

عصبية المزاج ، تثور لاتفه الأسباب ، فتبكي بحرقة دون ان يكون لبكائها هذا سبب ، وكان – على طبيعته المنطلقة من كل قيد – كان يشاكسها ويحاورها ، فاذا ماردد ابياتا من الشعر واحس بانزعاجها ، راح يترنم بالكثير من الشعر دون ان يعلم مايدور في خلد زوجه ، ودون ان يدرى بأن كل بيت من الشعر يردده ان هو الا سهم يسدده الى قلب هذه المسكينة ، واذا ما اسر بكلمة هامسا مداعبا في اذن جدته العجوز او خالته ، واحس منها انزعاجا ، راح يكثر من هذا الهمس .

وكانت احاديث الجيران وتلميحاتهم وغمزاتهم تزيد النار اشتعالا . فقد مضت بضع سنوات منذ تزوجت لطيفة دون أن تنجب اطفالا ، وراحت نساء الجيران يتحدثن امامها كل يوم عن زوج لم تنجب زوجه اطفالا فتزوج غيرها .

وبدا الشذوذ يزداد وضوحا وخطورة في تصرفات لطيفة ، واخذت تصيبها نوبات عصبية حادة ، فترفع صوتها بالصراخ احتجاجا على زوجها لاتفه الاسباب ، كانت تريد أن تفعل اى شيء لتدفع عن كرامتها هذه الاهانة الفظيعة التى يصفعها بها زوجها حين يريد ان يجعل لها شريكة جديدة في قلبه وحياته . كانت تريد أن تحطم ذلك الشعور بالدونية الذى بدا يشتد عليها ، تريد ان تمحو هذا النقص الذى الم بها حين لم تنجب أطفالا ولم تصبح اما مثل الاخريات .

وتطور الحال حتى جاء ذلك اليوم الذى وقفت فيه امام زوجها لتقول له بعصبية وعناد :

– لا أريدك .. هل تفهم ؟ لن اعيش معك .. ان كنت شريفا فطلقنى ..

وانطلقت لطيفة تبكى بحرارة وحرقة ، وانسحب هو بخطى ثقيلة رتيبة ، وما لبثت أن لبست عباءتها ، وغادرت البيت الى اهلها .

كانت لطيفة تجلس في بيت اهلها حين دخلت عليهم عجوز من ذوى قرباهم تنبئها ان ابراهيم قد طلقها . وصعقت لطيفة ، ومرت في ذهنها المكدود صور ماضيها المليء بالسعادة والشقاء .

لقد حطمت بيديها ذلك العش السعيد الذى كانت تعيش فيه مع زوجها الحبيب ، فأصبحت حياتها اشبه بالصحراء المجدبة ، بعد أن فقدت كل شيء .

وتلفتت حواليها تفتش عن وسيلة تضع بها حدا لهذه الحياة الكئيبة المروعة .. ولمعت في ذهنها الفكرة ..

ملات الكانون فحما اشعلت بعضه ، ثم ادخلته الغرفة واغلقت بابها ، وجلست في ركن من اركانها تكتب الى زوجها رسالة تودعه فيها الوداع الاخير .

وبعد قليل ، اخذت تشعر بدوار بسيط ، ثم بدأ القلم يسير ببطء على الورق . وشعرت أن غشاء خفيفا يتأرجح امامها ليحول بين عينيها وبين الورقة .. وان يدها اصبحت ثقيلة قليلا .. وبدا الخدر يسرى خلالها ببطء .. وذعرت حين احست انها النهاية .. ماذا ؟ هل تترك لزوجها الحبيب رسالة ناقصة ؟ انها تريد أن تبثه كل ما في نفسها من نجوى .. وحاولت ان تنهض لتفتح احد الشبابيك ، ولكن جسمها كان ثقيلا .. وحاولت أن تصرخ ، ولكن لسانها لم يتحرك ، واحست كان خدرا لذيذا يسرى في اجزاء جسمها كله .. وسقط القلم من يدها ..

وفي تلك اللحظة فتحت الباب وشعرت بموجة من الهواء البارد تلفح وجهها ، ورفعت راسها المكدود الثقيل لتجد ابراهيم يقف امامها بقامته الفارعة ، لكنه بدا كما لو كان يقف وراء ستار ابيض شفاف .. هل هى احلام الموت ؟ .. وحاولت ان تنهض .. ولكنها سقطت على الارض مغمى عليها .

وامتلات خياشيم ابراهيم برائحة الغاز النفاذة .. وعرف كل شيء ..

وفي المساء ، فتحت لطيفة عينيها لاول مرة منذ الصباح لتجد غرفة نومها الجميلة .. وعلى جدرانها تنتشر اللوحات التى اختارتها هى وزوجها منذ زفافهما ..

هل هى في حلم ؟ وادارت بصرها الى جانب السرير لتجد ابراهيم جالسا على الكرسى وبيده الرسالة التى بدات تكتبها اليه ولم تتمها ، فرفعت اليه وجهها الشاحب لتقول بخفوت :

– هل طلقتنى ياابراهيم ؟

وكان جوابه قبلة طبعها على شفتيها الباهتتين فاحاطته بذراعيها الواهنتين وراحت تنشج باكية .

وحاولت لطيفة ان تقول شيئا ، فاشار اليها ان تسكت ومر بيده على شعرها وهو يقول بحنان :

– لاتقولى شيئا .. لقد عرفت كل شيء .. من هذه الرسالة الناقصة .



الدار القومية للطباعة والنشر